

الْعَدْدُ



• تأكيدات في الهوية الكويتية.

• أمراء الكويت والفنون.

• هويتنا هي ما نصنعه بأنفسنا.

• السينما والتراث الشعبي.

ندوة العدد:

الإعلام الكويتي وتصديقات العصر

الهوية في سطور

مجلة دورية تعنى بتخليد شهداء الكويت، وتهتم بالقضايا الوطنية والخليجية، وتهدف إلى تعميق الانتماء الوطني وترسيخه.

إن الهوية ضرورة حياة، وضرورة وجود، والالتفاف حولها عنصر بقاء وأمان لهذا الوطن، لأنها الجبل السري الذي ربط بين الشهيد وأرضه، ومن أجلها قدم نفسه ودمه ليخلد في سجل الشرف.

إن الهوية - كما نراها في المجلة - مشروع طموح ومنتظور، يتعلق بالمستقبل أكثر من تعلقه بالماضي، لأنها في النهاية ما يجمعنا ويوحد بيننا، فهي العنصر الحاسم في صراعنا مع من لا يريدون لنا أن نكون.



الْهُوَى

الشرف العام
د. جاسم يوسف الكندري

رئيس التحرير
تركي أحمد الأنبعي

مديرة التحرير
فايزه مانع المانع

سكرتير التحرير
خالد نمش النمش

إخراج وتنفيذ

فهد الجاسم

الراسلات
باسم رئيس التحرير
مكتب الشهيد - اليرموك
ص.ب 28171 الصفاة 13158
دولة الكويت
هاتف: 5341658 - 5341657
فاكس: 5321105

المحتويات

ص ٤	بقلم: فايزه مانع المانع	جبروت العولمة	• بصمتنا
ص ٦		الشهيد عبداللطيف المنير	• السور الرابع
ص ١٠	بقلم: خالد نمش النمش	الشهادة في اللحظة الأخيرة	• شهداء الإسلام
ص ١٢	بقلم: د. محمود سيد أحمد	هويتنا هي ما نصنعه بأنفسنا	• فكر
ص ٢٢	بقلم: د. عبدالله الجسمي	تأملات في الهوية الكويتية	• ندوة العدد
ص ١٤	إعداد وإدارة: صالح العاقل	الإعلام الكويتي وتحديات العصر	• تراث
ص ٤٢	بقلم: طلال الشمري	أبراء الكويت والفرروسية	• فنون
ص ٥٠	بقلم: رابعة بركات	البشت	
ص ٣٠	بقلم: عماد نويري	السينما والموروث	• تحقيق
ص ٤٦	بقلم: خالد نمش	شعراء في لجة البحر	• لقاء
ص ٣٦	بقلم: منصف حمزة	التربية الوطنية	
ص ٢٦	حوار: عبدالله بدران	د. ميمونة الصباح	• من شهداء العروبة
ص ٥٢	بقلم: عبدالكريم المقداد	عبد الحميد الزهراوي	• قصة قصيرة
ص ٥٤	بقلم: عواطف الزين	حاجز النار	
ص ٥٦	إعداد: عماد عقيل	ساموري توري	• من رموز الحرية
ص ٥٨	شعر: علي السبتي	من أين يأتي الرضا؟	• شعر
ص ٥٩	بقلم: نايف الركيبي	مشاصل على الطريق	• مقال

اندلعت ثورة الاتصالات فلم يعد يقف في طريقها شيء، وتدفقت المعلومات من كل حدب وصوب معلنة انتهاء عصر الخصوصية الثقافية، واشتد أوار المنافسة الفضائية، ليجد الإنسان نفسه أمام حشد هائل من القنوات تتسابق لاجتذابه - وربما اصطياده - وهذا هو عصر عولمة الإعلام ينطلق بأقدام عملاقة وخطى جبار، وعلى الجميع الامتثال، وإلا دهسته تلك الأقدام وتجاوزته تلك الخطى.

ويبدو أن الحفاظ على الهوية الذاتية لم يعد ممكناً، خاصة للأمم ذات السمات الضعيفة أو الهشة، فلا بد أن

جريدة العولمة

يكتسحها هذا التيار المتدافق بلا هوادة، تيار إعلام الأقوياء الذين يهيمنون على العالم.

فمع تعدد وسائل الاتصال وسرعة انتشارها أصبح الجميع مكشوفاً من الجميع، والجميع مخترق من الجميع، وما على المرء إلا أن يضغط على بعض الأزرار ليكتشف الكثير مما كان يخفى، وليشاهد الكثير مما كان مستوراً، وليس مع الغزير مما كان مسكتواً عنه. وأمام هذا الزحف المخيف والتدخل الشرس يظل هاجس الحفاظ على الهوية الحضارية والثقافية منها على وجه الخصوص يؤرق المسؤولين وأولي الأمر وصناع القرار، ومعهم طليعة المجتمع.

إن الدول وأيا كانت المتغيرات اليوم ترى في الإعلام خط الدفاع الأول أمام جميع التحديات التي تواجهها على كافة الأصعدة، السياسية منها، والاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية وأخطر ما يستشعره الإنسان هو هيمنة إعلام الأقوياء الذي مارس ومازال احتكاراً ظالماً في مجال صناعة المعلومات وتدفقاتها فحظى بنفوذ طاغ على الرأي العام العالمي وقياداته واستخدامه مستفيداً من تطور شبكات المعلومات التي وفرت له الثورة التقنية في حقل الاتصالات ما أمن سرعة التدفق في كل الاتجاهات بلورة الرأي الواحد ومن

بِقلم :
فايزه هانم المانع
مديرة التحرير

ثم تحريك الأحداث وفق «السيناريوهات» المعدة من قبل ملّاكه ومموليّه. إن هذا التطور المذهل والتغيير الذي أفرزه يضاعف مسؤوليتنا الإعلامية، ويضعنا أمام تحدي لا مفر من خوض غماره، من خلال فهم عناصره وقراءة آثاره قراءة علمية وتوفير أساس مواجهته ندًّا لندًّا ومقارعة الحجة بالحجّة، والصورة بالصورة، والتعليق بالتعليق، والبرامج بالبرامج، والإبداع بالإبداع.

إن متانة بنية ثقافية تمنحنا الثقة الكافية لخوض غمار العصر، مستندين إلى دين جوهره العدل والتسامح، وإلى تراث غني من التنوع والاختلاف وتاريخ زاخر بالعطاءات والتضحيات وعاملين في الوقت ذاته على ترجمة كل ذلك سلوكاً وممارسة إبداعية تليق بعصرنا، وبإنساننا وبحريتنا.

إن يد الإعلام الطويلة تصل اليوم إلى كل بيت ولا يفلت من تأثيرها أحد، ومجتمعات العالم بدأت تتبادل التأثير والتأثير، ولم يعد من المحرمات الحديث عن ثقافة عالمية وإنسان عالمي ونمط عالمي موحد، بل لقد انتهى زمن الرعب من ثقافة الآخر في زمن ثورة الاتصالات ولم يعد غريباً الآن أن نكرر ما قالته أدبية عربية مرمودة يوماً عندما طافت أنحاء العالم واحتكت بشعوب مختلفة ومجتمعات متنوعة وعادت لتقول: (يا إلهي .. كم نحن متشابهون!).

إن الحديث عن الغزو الفكري أو الاختراق الثقافي بات حديثاً من الماضي ولا بد من الاستعاضة عنه بالحديث عن كيفية إثبات وجودنا الإعلامي المبدع مستفيدين من تكنولوجيا الاتصالات لتأكيد بصمتنا المؤثرة وإنجازاتنا الإنسانية ومساهمتنا العالمية، فالتدخل عام وشامل، وتحصين مجتمعاتنا لا يكون إلا بالانخراط في قلب الثورة المعلوماتية - إن صحة التعبير - فكل ما حولنا يشير إلى علامات واضحة، تعلن عن تحول ثقافي وذهني عميق، سيؤثر على كافة جوانب حياتنا، ومواجهة نتائجه لا تكون إلا من داخله بإجادة لعبة الإعلام الفذة والخارقة الذكاء والاستفادة من تقنياتها لخدمة قضيائنا وشعوبنا ومواجهتها خصومنا.

إنها مرحلة تحتاج إلى كثير من الصرامة والجدية والإبداع، فهل نحن مستعدون؟

من الصمود وحراسة بيوت الحي .. إلى المقاومة والنعيم ..

الشهيد عبد اللطيف المنير ..

إيمان وثبات وتصحية

من منزله. وبالتالي فإن حفظ الأسلحة فيه لن يشكل خطورة على أحد.

التأثير الأقوى

اهتم أفراد المجموعة بإعداد قنابل زجاجات المولوتوف، وقاموا بعدة عمليات مسلحة مثل إطلاق النار على العربات العراقية التي كانت تقل الكثير من العراقيين لتوطينهم في الكويت، كما قاموا بإحرق بعض الشاحنات العراقية التي كانت تقل المسروقات الكويتية، وكان الشهيد عبد اللطيف قد أخبر زوجته أنه تدرب على أيدي بعض الضباط

من أفراد المجموعة على إعداد قنابل المولوتوف. ويدرك والده أن ابنه - رحمه الله - كان يعدّ تلك القنابل ويستخدمها ضد الشاحنات العسكرية وسيارات الأجرة العراقية.

لقد واصل الشهيد صموده ونشاطه، وتعاون مع رفاقه لكي تتحقق آمالهم في تحرير الوطن رغم الحشود العسكرية العراقية، والأسلحة الفتاكية إلا أن إرادة الكويتي كانت قوية، مما أثار قلق سلطات الاحتلال التي ضاعفت من عمليات الاعتقال والبطش إلا أن هذا الأسلوب لم يضعف عزيمة الكويتي الصامد أو يرهبه، والواقع أن الصمود والمراقبة أبلغ تعبير عن الثبات والصبر وحب الوطن، فإذا اجتمع الإيمان بقضاء الله وقدره ورحمته، مع حب الوطن فإن كل مشاعر الخوف والذعر لا تجد لها الطريق أو التأثير القوي والإيمان بقدرة الله تعالى على إتمام ما أراده.



**■ اعتقالات ثلاثة ورصاصة
غدر رخيصة استقرت في
جمجمته فرفعته إلى أعلى
مكان تتطلع له النّفوس
المؤمنة المخلصة التوّاقّة إلى
نعميم لا ينفد وقرّة عين لا
تنقطع، ذلك هو شهيدنا
الشّهيد المغوار، الصابر،
الثابت عبد اللطيف
عبد الله المنير.**

لم يكن - رحمه الله - من العسكريين، لكنه أيقن أن الصمود والعصيان المدني، وسيلة من وسائل الدفاع عن الوطن، وكانت بداية نشاطه القيام ببعض الخدمات العامة، مثل نقل القمامات، لكي لا تكتدّس. كما كان يتّابع مع بعض أقرانه وأصدقائه على حراسة بيوت الحي. والحقيقة أن معظم مناطق الكويت شهدت في الشهر الأول من الاحتلال تكاثف الشباب لحماية الأحياء السكنية من السرقات، لكن بعد ذلك كان من الصعب الاستمرار في هذا العمل نظراً لسيطرة قوات الاحتلال على كل المناطق والأحياء.

حراسة المنازل

كان الشهيد عبد اللطيف أحد أعضاء مجموعة للمقاومة كان للشهيد جاسم محمد المطوع الدور الأساسي في تشكيّلها، وكان نشاطها في البداية حراسة المنازل، حيث كانوا يجتمعون في المنطقة بالقرب من منزل الشهيد عبد اللطيف - رحمه الله - ثم قاموا بجمع الأسلحة من بعض المخافر، وقد أوكلت المجموعة إلى الشهيد جاسم - رحمه الله - مهمة المحافظة على الأسلحة وكانت عبارة عن مجموعة من البنادق الذاتية ورشاش استقلال فحفظها الشهيد في منزل أخته الحالي والقريب

تغيير مكان الإقامة.

العنف في كل مكان

كانت الأوضاع قاسية، وصعبه، فقوات الاحتلال ضاعفت من عمليات الاعتقال والتكميل بالكويتيين ولكن الصبر كان شعار الجميع حتى جاء يوم ٨/٣١ حوالي الساعة ٢،٣٠ عصراً حيث اقتحمت القوات العراقية المكان الذي قصده عبداللطيف بعد أن وجهت أسلحتها نحو الديوانية التي اعتاد الشبان التجمع فيها، واعتقلت كل من كان فيها وقد استخدمت معهم العنف. أما بالنسبة للشهيد عبداللطيف فقد اقتادته قوات الغدر بعد أن هددوا أهله بنسف المنزل إذا قاموا بأية حركة ولذلك كانت قلوبهم تدمي وهم يشاهدون ابنهم وهو يتعرض للضرب على أيدي جنود العدو، دون أن يكون بيدهم وسيلة للدفاع عنه وحمايته، لقد أصبح ابنهم الغالي بيد السلطات التي لا ترحم، وما أن ولوا حتى بدأ أهله عملية البحث عنه فذهبوا إلى مقر القيادة العراقية في منطقة السرة، فنفي الغزاوة وجده هناك، بل إنهم طردوا والدته وزوجته كما تكرر الرد في مخفر النقرة.

لكن لابد من الصبر فهذا أمر الله سبحانه وتعالى القادر على أن يفرج عنه، خاصة وأن سلطات الاحتلال قد أفرجت عن عدد من المعتقلين من رواد الديوانية.

تعذيب بلا رحمة

كانت لحظات سعيدة حين علم أهله يوم ٩/٥ بوجوده في مبنى محافظة الفروانية وبالتحديد في مخفر منطقة العارضية. لكن لم تتمر محاولتهم للاطمئنان عنه، وفي اليوم التالي وعند المغرب أخلوا سبيله وكان مرهقاً، فقد تعرض خلال وجوده في المعتقل للتعذيب الوحشي وكانت حالته فظيعة، تشير الاهلع والألم .. أصفر الوجه، ملابسه ملطخة بالدم وممزقة، وأثار الحروق بادية على جسده فقد كانوا يطفئون السجائر في جسده، ورغم كل

هذه المعاناة والتجربة القاسية، فقد رفض الخروج من الكويت.

عاد الشهيد الذي اختار الصمود والانحراف في المقاومة من أجل الوطن، عاد إلى أهله بعد أن تعرض للتعذيب الوحشي بكل الوسائل ومنها السلك الكهربائي والتعليق بالمرودة رأساً على عقب، والضرب وكأنوا أيضاً يرتفعون إلى سقف الغرفة ثم يلقونه على الأرض، وكانوا يظنون أنه من العسكريين، وبرتبة مقدم، وبالتعاون مع الشهيد جاسم المطوع كان يخطط ضد السلطات العراقية، ويوزع منشورات.

لقد كان رجالاً شجاعاً حتى وهو في المعتقل حين رفض الإذلاء بمعلومات يستفيد منها المحتل، فقد سأله عن أسماء الأشخاص الذين كانوا معه والذين دربوه على استعمال السلاح والقنابل، لكنه رفض وكان يقول إذا مت فأنا شهيد، كان يقول ذلك رغم الألم الذي كان يشعر به. بل إنهم كانوا يصوّبون المسدس إلى أذنيه ثم يضعون فوهته داخل فمه لإجباره على الإذلاء بمعلومات عن رفاقه لكنه كان يأبى بشموخ.

اعتقالات متكررة

فرح أهله بوجوده بينهم لكن الفرحة لم تدم ففي يوم ٩/٧ اعتقل مرة أخرى ثم أعيد إلى المنزل بعد منتصف الليل بعد أن تعرض للضرب وقد قال لزوجته: لقد حكموا علينا أنا وجاسم بالإعدام. وبناء على أحد المصادر فإن الشبان الذين تم اعتقالهم ونتيجة ل تعرضهم للتعذيب الوحشي اضطروا إلى الإذلاء ببعض المعلومات، فاستغلتها سلطات الاحتلال التي أجبرت الشهيد عبداللطيف والشهيد جاسم

وأطل فجر التحرير



فقال له الضابط نريد منك إرشادنا إلى عنوان منزل (..) وهو الشخص الذي بلغ عن الشهيد جاسم والشهيد عبداللطيف، إنها لحظات مؤلمة قاسية عندما أمسك أفراد القوة العراقية الشهيد واقتادوه معهم بينما والدته وأهله ينظرون إليه بألم وحسرة وحزن وقد حاولت والدته الذهاب معه مهما كانت النتيجة ولكن أفراد القوة العراقية منعوها فلم تفقد الأمل في عودته لذلك قالت «يا بني سوف انتظرك عند الباب ولن أدخل»، فقال لها الضابط « دقائق قليلة وسوف نعيده، انتظريه». أما الشهيد فقد كان يشعر أنه الفراق، ولن يعود، حين قال لوالدته «ترى خلاص هذا آخر يوم»، بعد ذلك حاول أهله الوصول إليه للاطمئنان عليه دون جدوى، وعندما سألوا عنه في مخفر النقرة والشويخ أجابوهم: لقد تم نقله إلى البصرة، لقد غاب الشهيد عبداللطيف، ولم يكن بيدهم غير انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ.

الشهادة مع أذان الفجر

مرت الأيام على أهله ثقيلة، مؤلمة حتى يوم ٩/٢٣، أما الشهيد فقد كان مع مجموعة من أبناء الكويت الأويفاء في المعتقل يعانون من صنوف التعذيب على أيدي أفراد القوات العراقية المحتلة، وعند الساعة الثانية بعد منتصف الليل دخل أحد الضباط على المعتقلين وكان أحدهم الشهيد وأبلغهم بأنه قد تقرر الإفراج عنهم، لكن الشهيد عبداللطيف لم يطمئن وهمس لزميله بدر الخضاري «الله يستر»، ثم قاموا بتوزيعهم إلى مجموعات، وكان الشهيد عبداللطيف ضمن المجموعة الأولى ومعه الشهيد فايز كعنان والسيد بدر الخضاري الذي قدر الله سبحانه وتعالى له النجاة، تم نقل هذه المجموعة بواسطة باص كان يستخدم لنقل الخبر، وذهبوا بهم إلى قصر دسمان، وبعد نصف ساعة جاء أحد الضباط وطلب من الشهيدين عبداللطيف المنير، وفايز كعنان والسيد بدر الخضاري الصعود إلى السيارة، وفي الطريق سُأّلُهم الضابط من منكم يريد الذهاب إلى منزله أولاً فقال فايز كعنان أنا، وكان منزله في منطقة الفيحاء، وسارت السيارة وعندما وصلت إلى العنوان طلب الضابط من بدر وعبداللطيف النزول وبحسن نية قال بدر هوبي ليست معه فكيف أذهب إلى منزلنا في مثل هذا الوقت من الليل فقال له الضابط خابر والدك من منزل فايز لكي يحضر لك الهوية، قال ذلك وهو يسخر منهم بالطبع، ثم أمر الضابط جنوده بأن يجلسوا السيد بدر والشهيد فايز والشهيد عبداللطيف على الأرض ففعلوا، وفجأة بدأت بعض التحركات والأصوات المريبة، كما يروي السيد بدر الخضاري الذي كان يجلس في الوسط وعلى يمينه كان الشهيد عبداللطيف بينما جلس الشهيد فايز على يساره، ثم بدأ صوت مقاوم عدتها أدرك السيد بدر أنها الشهادةقادمة لا محالة، فتشهد، فتشهد، فحاول عبداللطيف وفايز تهدئته ومع نداء الله أكبر الذي أطلقه المؤذن من الجامع ينادي لصلاة الفجر انطلقت الرصاصية الفادحة من سلاح العدو نحو

المطوع على التوقيع على هذه المعلومات أي الإقبار .
صدقها.

إن الكلمات تعجز عن شرح الموقف وحالة الشهيد وأهله في تلك الأيام، اعتقال وتعذيب ثم إفراج ثم اعتقال وتعذيب، حتى جاء يوم ٩/١٠ بعد أن اعتقلت سلطات الاحتلال الشهيد جاسم بعد ساعات من الإفراج عنه، عندئذ أيقنت والدة الشهيد عبداللطيف أنهم سوف يعتقلون ابنها لا محالة لذلك طلبت منه الانتقال إلى مكان آخر كما حاولت معه زوجته، لكنه رفض بسبب خوفه على أهله من بطش المحتل لأنّه يعلم أنهم سوف يسألون عنه، ولذلك كما أسلفنا الإشارة رفض وكان يقول: «إذا الله سبحانه وتعالى كاتب لي الحياة سوف أعيش وإذا كاتب لي الموت فالحمد لله لأنها الشهادة». إنه الإيمان القوي الذي سيطر على أحاسيس الشهيد.

إنه آخر يوم

كانت هذه كلماته، وهو الرجل الشجاع الصابر الصامد، رغم معاناته بسبب التعذيب الوحشي الذي تعرض له حتى إنه كان يتنفس بين لحظة وأخرى، وعند الساعة ٨:٣٠ صباح ٩/١١ حضرت دورية من قوات الاحتلال بالقرب من منزل الشهيد، وطلب الضابط من شقيق الشهيد جاسم المطوع دق جرس باب المنزل فرفض الامتثال لهذا الأمر، وأنهم يريدون إنجاز جريمتهم بسرعة فقد قام العسكري العراقي بدق جرس الباب فخرجت له والدة الشهيد عبداللطيف وسألته ماذا تريد؟ فأجابها فاسأله لماذا؟ فأجابها

لدقائق معدودة وهو
يصوب سلاحه
الرشاش نحو
ظهرها ثم
اقتحموا الصالة
يبحثون عنه،
أما الشهيد
الشجاع
فقد أسرع
بالنزول
إليهم ..

الشهيد عبد اللطيف
(الأول من اليسار)
مع أحد أصدقائه





سيطرات الغزاة ودببات لم تمنع الفجر

القصد من حديثه وكانت تبكي، وكانت زوجته تشعر في ذلك اليوم بالانقباض وحلمت أنها تكلمه فلا يرد عليها، ولكن لا مفر لابد من التصريح لوالدته وزوجته بأنه من الشهداء بإذن الله، وعند الساعة ١١.٣٠ كانت زوجته في غرفتها، فطلبت منها أخت الشهيد أن تأتي، وفي تلك الأثناء سمعت صرخ والدة الشهيد وهي تتقول «يا لطيف يا عمري» وتبكي بحرقة.

وما أن رأى شقيق الشهيد زوجته حتى بادرها بقوله «مبروك الشهادة» فأغمت عليها، وبعد أن تحسنت حالها حمدت الله سبحانه وتعالى لهذا قضاء الله وقدره فقد أصر رحمة الله على المراقبة والصمود فكانت الشهادة.

رحم الله الشهيد عبداللطيف بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته

من كتاب حثيثيات الاستشهاد



للكتابة نجاة عبد القادر الجاسم «بتصرف»

واحدة من عمليات المقاومة الكويتية ضد الاحتلال

الشهيد فايز فسقط على الأرض وب توفيق من الله سبحانه وتعالى خفض السيد بدر رأسه في اللحظة التي انطلقت رصاصه الغدر الثانية نحوه وقد شعر بأن شيئاً ما قد لامس رأسه فأغمق عليه وكان رأسه ينزف، ثم جاء دور الشهيد عبداللطيف حيث انطلقت نحو رأسه الرصاصات الثالثة فسقط على ظهر السيد بدر ولمزيد من التأكيد أطلقت فرقة الإعدام الرصاصات الرابعة نحو السيد بدر وبالتحديد باتجاه الناحية اليسرى من رأسه فلم يتحرك. وبقيت فرقة الإعدام بالقرب من الأبطال الثلاثة وهم معصوبو الأعين موثقون الأيدي لمدة دقائق لكي يتتأكدوا من نتيجة جريمتهم، ثم فكوا العصايم والقيود وانصرفوا.

الزفاف إلى الجنة

بعد ذلك تم نقل جثمان الشهيد إلى المستشفى الأميركي، وهناك تم إبلاغ أهله بخبر استشهاده، وذهب أخوه «صلاح» إلى هناك لاستلام الجثة، وبالإضافة لحظات عصيبة شديدة القسوة لذا فلندع أخاه يروي المشهد كما رآه يقول:

كان لا يزال يرتدي الدشداشة التي كان يرتديها عندما اعترق، وجمجمته مكسورة وأدم لم يتجمد رغم مضي عدة أيام على الاستشهاد أما الوجه فقد كانت السماحة بادية على ملامحه بوضوح وكانت آثار إطفاء السجائر واضحة على جسمه، الذي تحول إلى اللون الأزرق أما يده اليسرى فقد كانت متورمة هذا وقد تم دفن الجثمان في مقبرة الرقة.

والآن كيف السبيل إلى نقل الخبر المؤلم إلى والدته الحنون التي كانت تنتظره، لقد حاول صلاح التمهيد لها فتحدثت معها عن الشهادة لكنها لم تتبه إلى

رب صحوة بعد غفلة... أعقبت صاحبها الجنة

الشهادة في اللحظة الأخيرة

أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضافة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقّي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

فأعمال عباد الله التي تصدر منهم في الدنيا لا بد أن تكون موافقة لما كتبه الله عليهم في الكتاب السابق... وهذا الأمر يوجب على العبد عدة أمور منها:

- الحث على الاستعاذه من سوء الخاتمة، وسؤال الله حسن الخاتمة إلى أن يلقاه ربه على ذلك.

- الحث على الدعاء بالثبات على الدين، حيث كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك».

- الصبر على الطاعة على الدوام، فالاعمال بخواتيمها.

- عدم الجزم والحكم على أحد من العباد بأنه من أهل الجنة، أو من أهل النار... وإرجاع ذلك إلى الله سبحانه وتعالى.

- كما وينبغي على العباد المبادرة إلى التوبة بالرجوع إلى الله على الفور للحصول على حسن الخاتمة.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فلما بزنا في المدينة، إذا راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله ﷺ: «كأن هذا الراكب إياكم يريد»، فانتهى إلينا الرجل، فسلم فرددنا السلام، فقال له النبي ﷺ: أين أقبلت؟ قال: «من أهلي وولدي وعشيرتي»، قال: فأين تريد؟ قال: «أريد رسول الله ﷺ»، قال: قد أصبته».

قال: يا رسول الله، علمني ما الإيمان؟ قال: أن تشهد إلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكوة، وتصوم رمضان، وتحج البيت؟ قال: قد أقررت، قال: ثم إن بعيده دخلت

خالد النمش

ذكر ابن إسحاق، أنه كان ممن قتل يوم أحد ^{رواية} «مخيريق» وكان أحد اليهود منبني ثعلبة بن الفطيون، قال: لما كان يوم أحد، قال: «يا عشير يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قتل... فقال رسول الله ﷺ: فيما بلغنا «مخيريق خير يهود».

(تاریخ الطبری ۳۲۵/۱، انساب الاشتری ۳۲۵/۲). وجاء في حياة الصحابة «زاد المعاد» ج ۲ ص ۲۰۱ - أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية، وأحمد (۲/۵) من طريق ابن إسحاق قال: «حدثني الحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ بن أبي سفيان مولى أبي أحمد عن أبي هريرة... وسنته قوي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، كان يقول: «حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل قط».

فإذا لم يعرفه الناس سأله: «من هو؟ فيقول لهم: «الأصیرم بنی عبدالأشهل - عمر بن ثابت بن وقش - رضي الله عنه - قال الحصین: فقلت لمحمود بن أسد: «كيف كان شأن الأصیرم؟ قال: كان يأبی الإسلام على قومه، فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عرض الناس فقاتل حتى أثخنته الجراح، قال: فبینما رجال من بنی عبدالأشهل يتلمسون قتلامهم في المعركة إذ هم به، فقالوا: «والله إن هذا للأصیرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه منكر لهذا الحديث»، فسألوه فقالوا: «ما جاء بك يا عمرو؟ أحبب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني، فلم يلبث أن مات في أيديهم فذکروه لرسول الله ﷺ، فقال: إنه من أهل الجنة».

يقول الله تعالى: «الله يجتبى إلیه من يشاء وبهدى إليه من ينیب»، وهناك حقيقة قد أقسم الرسول ﷺ مبيناً لها في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن



يده في حجر جرذان... فهو بغيره وهو الرجل،
فوقع على هامته فمات، فقال رسول الله ﷺ: «عليك بالرجل»، فوثب إليه عمارة بن ياسر وحديفة بن اليمان - رضي الله عنهما - فأقعدهما، فقال: «يا رسول الله قبض الرجل»، فأعرض عنهما رسول الله ﷺ، ثم قال لهما: «أما رأيتما إعراضي عن الرجل، فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعاً»، ثم قال رسول الله ﷺ: «... هذا من الذين قال الله فيهم: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية... ثم قال: «دونكم أخاكم»، فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله ﷺ، حتى جلس على شفير القبر، فقال: «اللحدوا ولا تشقولا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا»... وفي بعض الروايات: «هذا من عمل قليلاً وأجر كثيراً» (سند الإمام أحمد (٤/٣٥٩) أسد الغابة).
٤ - روى ابن هشام في السيرة: قال ابن اسحاق: وكان من حديث الأسود الراعي - مما بلغني أنه أتى رسول الله ﷺ، وهو محاصر لبعض حصن خيبر،

ومعه غنم له، كان فيها أجير لرجل من يهود فقال: «يا رسول الله أعرض على الإسلام، فعرض عليه، فأسلم وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه فلما أسلم قال: «يا رسول الله إنك كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟» قال: أضرب في وجوهها، فإنها سترجع إلى ربها أو كما قال: فقام الأسود، فأخذ حفنة من الحصى، فرمى بها في وجوهها، وقال: ارجع إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك أبداً، فخرجت مجتمعة، لأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم إلى الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط، فأتى به رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لم أعرضت عنه؟ قال: إن معه الآن زوجته من الحور العين» (الاستيعاب ١/٨٧ - ٨٨، الإنابة ١/٢٨ - ٢٩ رقم ١٢٢).

هل يكفي أن نجتّر ما أبدعه العباقرة من أسلافنا.. وغيرنا؟

**هويتنا هي ما نصنعه بأنفسنا
لأنفسنا. فالكتivar يبقى مستعاراً**

■ معجزة الحياة، على حد تعبير الدكتور رزكي نجيب محمود، هي أن تبدع جديداً بعد جديد، في أثر جديد. وضرب من الحال في عالم الأحياء أن يولد جديد ليكون صورة مكررة بكل حذافيرها وتفاصيلها من سالفه، بداعاً من أوراق الشجر التي تسقط عن شجرها أثناء الخريف والشتاء، لتثبت مكانها في الربيع أوراق جديدة، فصاعداً إلى الإنسان كلما جاء ولدأ بعد والد.

قول: إن معجزة الحياة تكمن في الإبداع، ويكون الحاضر أكثر أداءً لدوره الحيوي إذا هو صنع لنفسه حياته بنفسه و«أبدع» جديداً لم يشهد الماضي له مثيلاً، وبناء على هذا تقادس «هوية» أمّة من الأمم بمقدار ما تبدع؛ يعني بمقدار ما تضيّفه من جديد، لأنّ ما يصنعه إنسان لنفسه بنفسه هو -على حد تعبير الدكتور ذكي حبيب - ما يتحقّق له «هويته» وجوده.

يقتضي ذلك أن يكون هناك معايير محددة لـ «الجنس الحي»، وهي في الواقع ترجمة لـ «الجنس البشري». وهذه المعايير تتلخص في الآتي:

- ١- أن يكون المولود ذكراً أو أنثى، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.
- ٢- أن يكون المولود ملائماً لـ «الجنس البشري»، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.
- ٣- أن يكون المولود ملائماً لـ «الجنس البشري»، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.
- ٤- أن يكون المولود ملائماً لـ «الجنس البشري»، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.
- ٥- أن يكون المولود ملائماً لـ «الجنس البشري»، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.
- ٦- أن يكون المولود ملائماً لـ «الجنس البشري»، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.
- ٧- أن يكون المولود ملائماً لـ «الجنس البشري»، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.
- ٨- أن يكون المولود ملائماً لـ «الجنس البشري»، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.
- ٩- أن يكون المولود ملائماً لـ «الجنس البشري»، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.
- ١٠- أن يكون المولود ملائماً لـ «الجنس البشري»، وأن يكون ذلك ملحوظاً على الأفراد.

ولاشك أن قراءة صفحات الكون بلغة «العلم المعاصر»
يمكنا من معرفة سر الطبيعة في هذا الجانب منها أو
إلا، فتصبح بهذا الكشف أسيادها، ونملئ عليها سلطاناً،
ونستخدمها في صالحنا وصالح الآخرين، ومتى تتحقق
ذلك، فإننا نظفر بالحرية مرتين، حرية القادر على تسخير
الطبيعة لصالحه، وحرية نفك عنا قبضة من ساد الكون
علمه، فحكمه وتحكم فيه، وذلك لأننا - على حد تعبير
الدكتور ذكي نجيب - في حاجة إلى كثير مما صنعه هؤلاء
علمومهم ومهاراتهم، ولا سبيل أمامنا - إذن - إلا أن نشتري
منهم ما يسمحون لنا بشرائه من تلك الأجهزة التي لم تعد
لحياة ممكناً إلا بها.

كما يتطلب الإبداع المرتبط بتحقيق هويتنا ضرورة استخدام العقل؛ الذي وصفه الفيلسوف الفرنسي «ديكارت» بأنه أعدل الأشياء قسمة بين الناس». وأقصد بـ«العقل» هنا بالتحديد أن تكون نظرتنا إلى الأمور نظرة عقلية، بعيدة

بِقَلْمِ دُ. مُحَمَّد سَيِّد أَحْمَد

إن الهوية الحقة لأمة من الأمم لا تمثل في استعارة صورة من الآخرين؛ لأن المستعار يبقى مستعراً، وما يصنعه إنسان لنفسه هو ما حقق له هويته وجوده. وبناء على ما تقدم، لنتحقق «هويتنا» بآن نستعيّر من هنا وهناك، وكأن لا دور لنا في ناء حضارة اليوم.

إذا كان بعض المفكرين يرون أن «هويتنا» تتحقق إلا بالرجوع إلى ماضينا، فإننا نقول: لا غبار على ذلك، ونحن نتفق معهم. ولكن ما هو مطلوب هنا أيضاً في مثل الظروف التجديدة التي يعيشها العالم، والتي لا ترحم ضعيف المتواضع، أن لا نضع أمامنا نماذج العباقة من سلافنا وأسلاف غيرنا، ونجلس فاغري الأفواه من دهشة الإعجاب، وكأنه «ليس في الإمكان أبدع مما كان». إننا لو عانينا ذلك، سنكون أشباه بمن جلسوا في مسرح، يشاهدون نهاية عظيمة التأليف، يقوم بتمثيلها كبار الممثلين القادرين، بما المتفرجون فجالسون في الظلام، فيما المثنون وحدهم قد كادوا ينسون أنهم أحياء.

ن ما هو مطلوب منا لكي تتحقق «هويتنا» أن نضع بين يدينا نماذج العباقة من أسلافنا ومن غيرنا أيضاً - أيا كان هذا الغير - ونتمثل من هذا كله ما وسعت قدراتنا بهاضمه أن نتمثل، لكي نعود فنخرج منه إبداعاً جديداً. بما نقوله قد حدث في كل حياة ثقافية ناهضة، فإن قرern الثالث والرابع الهجريين، كان العرب على إمامٍ واسع معظم ما أنتجته البشرية قبل ذلك، كان هذا ماثلاً أمام قولهم وقلوبهم، لا ليحفظوه حفظاً أصم، ويعيدوه حروفه، بل ليتمثّلوا، ولينتّجوا هم بعد ذلك نتاجهم الأصيل.

يرتبط بما نقوله هنا مسألة لها أهميتها من وجهة نظرنا؛
هي أنه يجب علينا أن نفهم العلاقة بين حاضرنا وماضينا
وهما صحيحاً، فثمة نظرتان - كما يرى الدكتور فؤاد زكريا
- موجودتان لدينا فيما يخص علاقة الحاضر بالماضي:
نظرة لا تاريخية، ونظرية تاريخية، الأولى ترى أن الماضي
سأله دائماً أمام الحاضر، لا بوصفه مندماً فيه، بل

**معجزة الحياة
تكمّن في
الإبداع الذي
هو محور
الهوية الحقة
لآلية أمنية**

الاعتزاز
بالنفس دون
كسل وقراءة
آيات الكون بـ
«لغة» العالم
المعاصر وعقلنة
حياتنا وإشاعة
الروح النقدية
واحترام
الإنسان
كقيمة..
أهم الرؤى
في هويتنا

**لابد من تمثّل
عقبالية أسلافنا
- وغيّرنا -
لنعود فنخرج
مما أبدعنا
ابداعاً جديداً**

**لابد من إصلاح
شأن النّظرة إلى
الإنسان كفردٍ له
استقلاله
وكرامته ليشعر
بالواجب
ويبدع.. واحدٍ
مشكلاتنا
الاهتمام
بالشكل على
حساب المضمون.**

حد تعبير الفيلسوف الألماني «كانط»، ولا يتحقق هذا الهدف النبيل إلا إذا تجنبنا النظر إلى الإنسان على أنه مجرد «وسيلة» من الوسائل وأعني بالوسائل هنا أن يستخدم الإنسان لتحقيق مصلحة أو هدف من الأهداف الشخصية. إن النظر إلى الإنسان على هذا النحو يجعله شيئاً من الأشياء؛ وذلك لأن الأشياء هي التي تستخدمن كوسيلة لتحقيق مصلحة أو هدف من الأهداف الشخصية. وينجم عن هذا أن يكون للأشياء «ثمن» ولا يكون لها «كرامة». لأنك تستطيع أن تستبدل شيئاً بشيء آخر يساويه في «الثمن». الإنسان ليس هكذا؛ ليس شيئاً من الأشياء، وبالتالي ليس له «ثمن»، بل له «كرامة». ومتن واحد شأن النّظرة إليه على أنه «فرد»، له استقلاله وكرامته، فإنه سيندفع - لا محالة - إلى العمل والإضافة والإبداع بقدر ما يستطيع، لشعوره بأنه «ينتهي» إلى أمة أعطته له حقوقه، وأن من واجبه أن يقدم لها شيئاً مفيداً جديداً تفرد به، وتساهم به في الحضارة العالمية الجديدة.

ونضيف إلى ما قلناه سابقاً مسألة أخرى قد تكون لها أهميتها، وهي أن الإبداع الذي يحقق هويتنا يتطلب منا أن نكتف عن الاهتمام بالشكل ونتجه إلى الاهتمام بالمضمون. إذ أن مشكلتنا التي تتصل بعدم إبداعنا تكمن كثيراً، فيما يرى كل من الدكتور ذكي نجيب والدكتور فؤاد زكريا، في اهتمامنا بالشكل لا بالمضمون، انظر إلى حياتنا ستجد أن الواحد منا يعتقد أنه مدام قد حافظ على الشكل المقبول - عند القانون، أو الشرع، أو العرف - فقد أدى واجبه، بغض النظر عما ينطوي عليه هذا الشكل من لباب الفعل نفسه، وما يؤدي إليه من نتائج ضارة أو نافعة. فالمulous عندنا على المظهر، لا على الحقيقة، فاظهر للناس في أوضاع الغنى تكن غنياً، وفي أوضاع العالم تكن عالماً.. إلخ. وقد تسررت هذه الشكلية والاهتمام بها إلى حياتنا الفكرية والتثقافية، فنجم عن ذلك عدم وجود إبداع أو إضافة جديدة.

وأخذت هذا المقال بعبارة مقتبسة من الدكتور ذكي نجيب وهي: «إذا أردنا لأمتنا أن تحقق «هويتها» لابد أن نبدع جديداً، فالفرق بعيد بين أن يكون في حياتنا شيء منا، وبين أن نستعيّر صورة من الآخرين، مما يلغى من درجات الكمال. إن ما يصنّعه إنسان لنفسه بنفسه يتحقق له هويته وجوده، في حين أن المستعار يبقى مستعاراً». أليس في إمكاننا أن نتحقق لهذا الهدف؟ أليس في إمكاننا أن نبدع جديداً يكفل لنا مكاناً في عالم لا يعترف إلا بالمبتدعين؟

عن الأهواء والمصالح الشخصية الذاتية، وعدم الجزم والتأكيد القاطع في كل شيء، والإيمان بتعدد طرق الوصول إلى الحقيقة، وعدم الوقوف عند رأي واحد وإجابة واحدة يرتاح لها الإنسان، ويتوقف عندها، ويكتف بعدها عن التساؤل والبحث، لأنه عندما تعدم هذه الأمور، تطمس الروح النقدية، وتهدم القدرة على الابتكار والإبداع، ويصبح التجديد آفة ينبغي تجنبها، ويصبح الإبداع بدعة لابد من محاربتها - على حد تعبير الدكتور فؤاد زكريا.

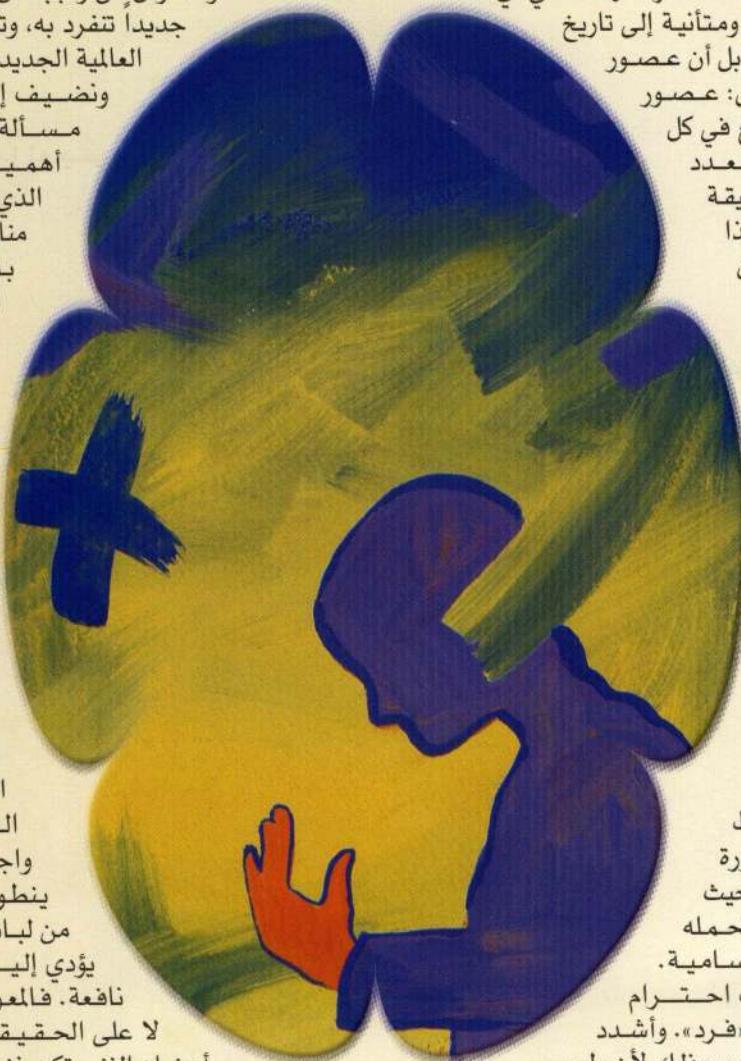
إن نظرة متفرّعة ومتأنية إلى تاريخ البشرية تبين - كما يرى الدكتور فؤاد زكريا - أن عصور العقل عصور التساؤل، وإفساح المجال للرؤى المتعددة، وعدم الوقوف عند رأي واحد وإجابة واحدة، هي عصور التقدم والوثبات الكبرى إلى الأمام، هي عصور الإبداع والابتكار. هكذا كانت حال المسلمين من قبل، وهكذا كانت عصور النّهضة الأوروبيّة، وحالة عصر النّهضة في أي مكان، ونظرة متفرّعة ومتأنية إلى تاريخ البشرية تبين في المقابل أن عصور

عدم استخدام العقل: عصور الجزم والتأكيد القاطع في كل شيء، وعدم الإيمان بتعدد طرق الوصول إلى الحقيقة هي عصور التخلف. هكذا كانت حالة أوروبا إبان

فترقة العصور الوسطى؛ حيث كان اليقين هو الحالة العقلية السائدة، يقين الحقائق المقدسة كما تفهمها الكنيسة، ويقين المعرفة كما تجمدت فيما عرفوه من كتابات فلاسفة اليونان، فتجمم عن ذلك - كما نعرف جميعاً - محاربة كل ما هو جديد، ولم يكن هناك إبداع أو ابتكار. وفضلاً عما تقدم، يتطلب الإبداع المرتبط بتحقيق هويتنا ضرورة الاهتمام بالإنسان من حيث هو «بني آدم» بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ سامية.

فلابد أن يكون هناك احترام للإنسان من حيث هو «فرد». وأشدد هنا على كلمة «فرد»، وذلك لأن طمس

الفردية، وذوبان الإنسان في «المجموع»؛ بحيث تضيع معالله التي تميزه عن سواه، هو إهانة لأدمية الإنسان، وإلغاء لشخصيته المترفردة المستقلة، وقضاء على الإبداع. إنه إغفال أو قل إنكار لمبدأ أقره الخالق سبحانه وتعالى، حين جعل كل إنسان من حيث هو «فرد» مسؤولاً عن أعماله، ومحاسبًا عليها وبالتالي، وهي أعمال تفرد بها، وتتميز بها عن الآخرين. إن المجتمع الذي يريد لأفراده أن ينصبوا كلهم في قالب واحد هو مجتمع يقضي على روح الإبداع والابتكار فيهم، ولابد أن يكون هناك - أيضاً - اهتمام بكرامة الإنسان، ولا يتأتى ذلك إلا إذا نظرنا إليه على أنه «غاية في ذاته» على



محاولة في فهم مضمون خطابه وتحولاته ..
وقدرتـه على التطور لمجـاراة المتغيرات

الإعلام الكويتي .. وتحديات العصر



أعد الندوة وأدارها :
صالح يوسف العاقد

■ قام الإعلام الرسمي الكويتي المسموع والمرئي والمقرؤ منه بدور توعوي وتنموي لا يستهان به، فسلط الأضواء على مشكلات الكويت والأمة، وعالجها معالجة مستنيرة مستمدة من محتوى تندغم فيه الوطنية بالعروبة. وبالقياس إلى امكاناته وظروفه استطاع خلق رأي عام عبر رسالة نقدية عموماً، تنشد حياة أفضل ومستقبلاً أفضل.

لكن المتغيرات الإقليمية والدولية التي عصفت بالكويت وكان الثاني من أغسطس ١٩٩٠ مفتتحها الأسوأ، ومن ثم ما سمي بـ «الحرب على الإرهاب» والحربيان اللتان تلتا شكلت استقطاباً فكريّاً وقيميّاً، تجلّى في اصطدامات اجتماعية وسياسية حادة وقع الإعلام العربي كلّه، والإعلام الكويتي (وال رسمي منه خاصة) فيه.

«الهوية»، قامت بعقد ندوة حول «الإعلام الكويتي وتحديات العصر» انصب الحوار فيها على معالجة هذا الموضوع وما يتصل به من وسائل فكرية وتقنية في محاور أربعة:

١- الإعلام الكويتي واتجاهاته في مرحلة البدايات وطبيعة معالجته لقضايا المطروحة.

٢- فحص تغير الخطاب الإعلامي خلال السنوات التي تلت تحرير الكويت إلى الآن.

٣- الإعلام الكويتي والديمقراطية.

٤- الإعلام الكويتي اليوم وارتباطه بقضايا المنطقة والعصر .. والأثر الذي يتركه في المتلقى.

وقد دعي إلى هذه الندوة الأستاذ سعد جعفر وكيل وزارة الإعلام المساعد ود. سعد بن طفلة العجمي، ود. عايد المناع، والكاتبة فوزية شويس، وشاركت فيها أيضاً مديرية التحرير فايزة مانع المانع.

لكن الوكيل المساعد الأستاذ سعد جعفر اعتذر عن عدم الحضور في الدقائق الأولى لانعقاد الندوة فخسر هذا الحوار جزءاً حيوياً منه، وخسرت وزارة الإعلام فيه منافحاً عن .. رسالتها.

ولا يفوتنا أن أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور علي أحمد الطراح عميد كلية العلوم الاجتماعية في جامعة الكويت، الذي فتح قلبه .. وقاعة مجلس الكلية لاستضافة ندوتنا هذه، بعد أن حال اشتباك المواجه دون عقدها في جمعية الصحفيين الكويتيين، كما جرت العادة.

د. سعد بن طفلة العجمي
رسالة الإعلام الكويتي
القومية رغم نبل أهدافها
كانت «طراً» خلف سراب كما
أن أدواتها كانت خاطئة
واعلامنا اليوم أسيء لها رغم
تغير العالم.

■ العرب يتوهمنون دخولهم
عصر حرية الإعلام لكن ما
يؤمنون فيه هو احتكار من
نوع جديد .. فليس لدينا
تراث راسخ لإعلام موضوعي
ومستقل.

■ لابد من وجود إعلام خاص
في الكويت .. لكن خصخصة
الإعلام اصطدمت بمصالح
مراكز القوى التي كانت
ومازالت تريد احتكار الإعلام
الخاص كما هو الحال في
الصحف.

■ تجاوز المشكلة يكمن في
تجميد العقلية القديمة
واعادة ترتيب أولويات
خطابنا الإعلامي والكف عن
اعتبار الإعلام جزءاً من
السياسة.

■ لدينا كادر قادر على
تمثيل واقع إعلامي جديد
ومتطور ولكن فقط عند
إطلاق ديناميكية جديدة
لاتخاذ القرارات تجاوز
الضوابط واللوائح في
موضوعي الحرية والحوافز.

■ أكثر ما يخفيف بعضهم هو
المطالبة بحل وزارة الإعلام
لكن ما سيمضي سيمضي ..
والحل هو وجود هيئة مدنية
لتحاسبة متزاوجي الضوابط
الإعلامية.

فرض على الإعلام الرسمي تحديات جديدة.
• صالح العاقل: أرحب بكم في ندوة «الهوية» الخاصة
بالإعلام الكويتي وتحديات العصر أجمل ترحيب، وكلّي
أمل في تفتح أفقاً أو بعض أفق لحوار أعمق وأوسع حول
هذا الموضوع يتتجاوز الغمز واللمز إلى قراءة واقعية
للحديقات التي يواجهها إعلامنا.

المحاور شاملة كشمول العنوان الذي اقترحه الأستاذ سعد
جعفر، وهي مترابطة على نحو قد يجعلها تتدخل أثناء
النقاش .. ولكنني أمل أن يكون هذا التداخل في أضيق
الحدود للحفاظ على استقلالية الموضوعات.

ويؤسفني أن أنقل إليكم اعتذار الأستاذ
سعد جعفر عن الحضور قبل دقائقين
فقط من موعد الندوة بسبب وعكة
صحية عارضة.

اسمحوا لنا أن نبدأ مع الدكتور سعد
بن طفلة العجمي، فلربما بحكم كونه
باحثًا في الإعلام وزيراً سابقاً له
يستطيع أن يضيء كفاية المحور الأول،
ومن ثم تتعلق في التعريف وتناول
المحاور التالية معكم. تفضل د. سعد.

• د. سعد بن طفلة العجمي: أولاً، من
المهم للقارئ الكريم أن يدرك أن هذه
الأراء التي سأطّرها عبر محاور
ندوتك ليست «ملاحظات مسؤولة

سابقة» بل آراء شخص متتابع قبل أن
يكون مسؤولاً، وأثناء تولييه مسؤولية

وزارة الإعلام، وبعد تركه لمنصبه.

فيما يتعلق بالمحور الأول، والذي يحاول الوقوف على مادة
الإعلام الكويتي واتجاهاته في مرحلة البدايات وطبيعة
«الرسالة» التي كان يبتها في شايا معالجته لقضايا، أقول:
في الحقيقة لم يكن فيه رسالة كويتية محضة، بل رسالة
عربيّة عامّة، كانت الكويت تلعب فيها دوراً أساسياً في
الشأن الإعلامي. رسالة قومية لكن المسؤول الذي يطرح
نفسه، تكون الأمور بخواتيمها، هو: هل تحققت تلك
الرسالة؟ أعتقد أننا كنا «نطرد» خلف سراب، لم نقبض
منه الكثير، كما أن الأدوات كانت خاطئة.

منذ زمن تلاوة المراسيم على مسامع الناس في الساحات العامة وتتّالق الأخبار على طرق التجارة والإعلام يعيد طرقاً جديدة ويشق فضاءات بكرةً، بوصفه أحد أهم العناصر الاتصالية بين البشر مستفيداً من كل إنجاز فكري ومادي من الدساتير إلى التكنولوجيا.

وإذا كان الإعلام - في العربية - مصدر لفعل يعني حصول فاعله على حقيقة العلم ومعرفة الأشياء وتيقنها وشعوره بها وإدراكها، كما يعني إتقان الأمر أيضاً، فإن الإعلام العربي قد شهد نكوصاً فاجعاً، هو أحد أشكال

نكوص حياة العرب العامة، فتجزأ بتجزتهم ولم يكن قد برم بمد، لكنه ظل بمؤسساته البدائية يراوح بين حمل الهموم القومية والاشتغال على القضايا القطرية، إلى أن مرق العقد الأخير طرأ في هذه الثانية، وقلبت الثورة التقنية ومتغيرات الظروف الدولية طاولته رأساً على عقب فبدا وضعه مأساوياً وتدخلت المفاهيم فيه، فلا هو حافظ على خطه السابق ولا استطاع انتهاج خط الحادثة المفروضة من الخارج، ما عكس الأزمة الخانقة التي تعانيها مجتمعاتنا وأنظمتنا السياسية معاً.

ولم يتّسّن للإعلام العربي - ومثله إعلام الدول النامية - أن يحظى بأي موطئ قدم في مجال التبادل الدولي

للمعلومات بسبب ضعف بنائه وأحاديته من جهة، والاحتياط المحكم الذي مارسته المؤسسات الإعلامية الغربية الكبرى في مجال صناعة المعلومات وقنوات تدفقها، من جهة أخرى.

بالطبع نحن نتحدث عن الإعلام الرسمي، فحتى وقت قريب لم يكن هناك إعلام عربي أهلي أو خاص، لكن ومنذ سنوات قليلة بدأت معالم الأمل تلوح في الأفق فظهرت المحطات الإذاعية والتلفزيونية الخاصة، وأجبرت المنافسة ملاكها ورعايتها على رفع سقف الحرية الإعلامية، ما



د. سعد بن طفلة العجمي

الكويتي ومحتها أو على وجود رسالة فيه أصلاً. لقد قلت إن أهداف الرسالة كانت نبيلة لكن العيب في المعالجة .. ثم هل تعتقد بوجود إعلام في أي مكان في العالم، ومهما كانت الجهة التي تقف وراءه (تموئلها) يخلو من رسالة وطنية أو قومية أو دينية أو اجتماعية أو سياسية إلخ؟

• د. سعد بن طفلة العجمي:رأيي في موضوع الرسالة قائم على تحليل النتائج، فرسالة الإعلام الكويتي في الماضي كانت تعكس أحلاماً أكبر من الواقع، ومن قدرتها على الفعل فيه، فإعلامنا في فترة من الفترات كان رومانسيًّا جداً، الساحة الإعلامية العربية كلها كانت كذلك، وهذا هي النتائج: كوارث على مستوى الأمة. لقد زرعنا كثيراً من الوهم فحصدنا كثيراً من الخيبات.

وإذا كان الإعلام العربي لديه أجندات مختلفة ومتضاربة، فتحن لدينا جروح خاصة، مما قادنا جميعاً كأقطار إلى «حيص بيص» إعلامي، مستمر حتى اليوم، لأن الحديث عن فضائيات مستقلة هو كما يقال باللهجة الشعبية «ما خود خيره».

«الجزيرة» في النهاية هي قناة قطريّة، ليست قناة عربية مستقلة، أبو ظبي هي قناة أبو ظبي، «M.B.C» و«العربية» هما قناتان سعوديتان، «A.N.N» هي قناة سورية لبعض مراكز القوى السورية وقس على ذلك ...

• صالح العاقل: ما كنت أخشاه وقع، فقد اشتبت مقدمات المحاور بنتائجها. د. عايد، أنت مستشار جمعية الصحفيين وعملت على برامج إذاعية وتلفزيونية، كيف تقيم على ضوء معرفتك وعملك مادة واتجاه الإعلام الكويتي في مرحلة البدايات وهو ما رأيت أنه يتلخص في مفهوم «الرسالة الهدافة»، وما تقييمك لتلك الرسالة من خلال الموضوعات والمعالجات التي كان يقدمها؟

• د. عايد المناع: بداية أعتقد أن د. سعد أعطى صورة وافية وواضحة للمشهد الإعلامي، ولكنني ربما اختلفت معه في مسألة تحديد مفهوم وجذور «الرسالة الهدافة»، فإذا كانت تلك هي «الرسالة الموجهة» فهي قد استوردت من دول العسكري الاشتراكي السابق، من حيث هي آلية لصياغة الرأي العام وتوجيهه على نحو معين، واستعارت الدول - حديثة الاستقلال - في العالم الثالث هذه الآلية، كما استعارت شكل النظام السياسي. أما الإعلام الكويتي في مرحلة البدايات، فقد اتجه لتقليل ما هو قائمه في الإعلام العربي، سواء الإعلام المصري أو العراقي في العهد الملكي.

لكن علينا أن لا ننسى أنه إلى جانب الرسالة القومية للإعلام الكويتي في بداياته كانت هناك رسالة محلية، مرتبطة بهواجس وجودية، فعمل على إثبات الهوية المحلية الكويتية، من خلال التركيز على الدولة المستقلة، ودحض مزاعم وأوهام عبد الكري姆 قاسم بتبعية الكويت للعراق.

من هنا انصب جهد الإعلام الكويتي الرسمي على تعزيز الروح الوطنية وإثبات استقلالية الوطن. وما إن استتب الأمر في الموضوع الوطني، حتى بدأ يتصاعد الاهتمام بقضايا العروبة، التي كانت تشغّل الكويتيين، كما كانت تشغّل العرب في جميع أقطارهم، وكان هناك قطاع واسع في الساحة الكويتية يشعر أن الكويت هي جزء من الأمة العربية، واستقلالها هو إضافة إلى الوطن العربي والأمة.



د. عايد المناع

الأهداف كانت نبيلة، ولم يتم التراجع عنها .. لكن المعالجة!

الآن، هناك متغيرات فرضت نفسها، لا بسبب تراجعات كويتية أو عربية، بل نتيجة تغيرات عالمية (عولمية)، جعلتنا نعيش أسرى الحديث عن «الرسالة الهدافة» السابقة رغم تغير العالم، ومن ثم فإن محاولات مواهمة تلك الرسالة مع متغيرات العصر هو ما أوجد هذه الحالة من العجز والشلل في الإعلام الكويتي .. والعربى عامة.

لقد تغير مفهوم الإعلام، ولذلك لابد من إعادة صياغة مفهوم الرسالة الإعلامية بتحريرها من «الحصن» الرسمي لتكون شاملة وعامة .. وشعبية، بمعنى أن تكون هناك رسالة شعب، رسالة أمّة وثقافة أمّة، وكل فرد فيها له دور وعليه مسؤولية في إيصالها.

لكن للأسف لم يتغير شيء، لا نزال نعيش الإعلام الرسمي والتفكير بالإعلام الرسمي، وهكذا - كما أسلفت - ليس في الكويت فقط، حتى الفضائيات العربية المؤثرة التي يريد أصحابها أن نتوهم أننا دخلنا كعرب عصر حرية الإعلام وانطلاقه وتحرره من قيوده الرسمية السابقة، ما هي إلا تعبير عن احتكار من نوع جديد. ليس لدينا تراث راسخ لمفهوم الإعلام المستقل والموضوعي والعادل، والذي يستمد قوته وبقاءه ذاتياً، أي دون الاعتماد على دعم حكومة ما، في حين أتنا نرى اليوم معركة ضارية بين ندين هما هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) والحكومة البريطانية. لماذا ندّان؟ لأن الهيئة تستمد رواتب موظفيها وميزانيتها عامة من الناس واشتراكاتهم، بل وليس فيها دعاية واحدة أو إعلان واحد، لاتريد أن تكون عرضة للأهواء التجارية لمراكز القوى المالية هنا وهناك .. لذلك بقيت إلى حد كبير رمزاً للنضال من أجل الموضوعية والعدالة إلى حد كبير، مع ملاحظة أنه ليس هناك عدالة أو موضوعية مطلقتان، مادمنا بشراً.

من المؤكد أن الإعلام الكويتي يجب أن ينحو هذا النحو، ولكن من خلال تجربتي في الوزارة تيقنت أن هناك قوى احتكارية، كانت ولا تزال تريد أن تحكر حتى الإعلام الخاص، مثلما هو الأمر في المؤسسات الصحفية محاولات خصخصة الإعلام الرسمي اصطدمت بمصالح مراكز القوى.

كثيرون يعتقدون أن في الكويت حرية صحافة، وهذا غير صحيح في الكويت حرية رأي، وهذا أمر مختلف، فجريدة الصحافة مرتبطة بالضرورة بحرية إصدار الصحف، وهو الأمر غير الممكن، إن أي من المواطنين لا يمكنه إصدار صحيفة، مع أن هناك قانوناً يفصل في مواصفات استيفاء الإصدار الصحفي للشروط .. وغير ذلك! أنا كنت وزيراً للإعلام ولم أكن أستطيع أن أمنع ترخيصاً لأي مواطن ليصدر صحيفة.

إن أقل ما يقال في هذا «القيد» إنه من بقايا الماضي،

فيما يتعلق بالإعلام الرسمي الكويتي وعناصر «رسالته»

المثلثة بأثقال الماضي. فأي مستقبل نتطلع إليه، ونحن ننظر إلى الخلف؟

• صالح العاقل: كأنك تجمع في سلة واحدة بين أمر تقني هو القوانين المقيدة للحرية الإعلامية ولتطور الإعلام عامة وآخر فكري هو الرسالة التي كان الإعلام يبيتها. ثم لم أتبين إذا كان الهجوم على مضمون رسالة الإعلام

د. عايد المناع

■ إعلامنا في بداياته قبل الإعلام العربي ورسالته القومية وازتها رسالة محلية مرتبطة بهواجس وجودية .. ورغم أحدياته فقد كان يتضمن التوجهات العامة للمجتمع.

■ بعد التحرير توسيع التعددية البرامجية وغلب التوجه العقلاً نحو المتلقي .. ولكن هل يستطيع إعلامنا الرسمي مجازة الفضائيات «الخاصة»؟ بالتأكيد لا.

■ أزمة الإعلام الكويتي الرسمي تكمن في أنه مملوك للدولة التي تخشى الحرج السياسي فيما لو تركته يعمل بحرية كاملة ومهنية.

■ لا ينبغي تجريد الدولة من وسائلها الإعلامية ولكن ليس من حقها احتكار الإعلام .. فاما أن توسع هامش المشاركة في تلك الوسائل أو تتيح للأخرين إقامة مؤسساتهم الخاصة.

■ رئيس المال الكويتي جبار .. أين رئيس ماليونا المخضرمون من شجاعة محمد الحامدي؟

■ على إعلامنا توسيع مشاركة المثقفين والاستماع إلى أفكارهم وترجمة رؤاهم .. والارتقاء باللغة الإعلامية فوق العالمية السائدة والانتقال بها إلى العربية الفصحى.

صالح العاقل
مشهد الإعلام العربي
يبدو مأساوياً فلما هو
حافظ على خطابه
السابق (مادة واتجاهها) ولا
استطاع انتهاج خط
الحداثة المفروض من
الخارج.. ما عكس أزمة
مجتمعنا ونظمنا معًا.

هامشية إعلامنا في
ميدان التبادل الدولي
بسبب ضعف بنيته
وأحاديته من جهة
والاحتكار المحكم
للمؤسسات الإعلامية
الكبير لصناعة المعلومات
وقنوات تدفقها من جهة
أخرى.

ليس في العالم كله
إعلام يخلو من «رسالة»
والإعلام الكويتي عبر عن
هوية المجتمع الكويتي
وآماله وطمأناته في
التحرر وأثبات الوجود.

■ لماذا نحتاج بـ«المتغيرات»
لنسف الإعلام الكويتي
وتغيير اتجاهه جذرية؟
ولماذا يراد تكميم فيه
الدولة بتجريدها من
الوسائل الإعلامية .. بما
لا يعكس دورها في المجتمع
وأهمية رسالتها إليه؟

■ «العربي» و«الكويت»
وسلسل كتب ومجلات
المجلس الوطني للثقافة
والفنون والأدب جزء لا
يتجزأ من الإعلام الكويتي
ال رسمي .. عزّز مكانة
الكويت العربية في قلوب
الجماهيري وأبرزها أنموذجاً
للحرية الفكرية.

ضوء المتغيرات التي ذكرت. بمعنى هل تتوقع أن تقوم الدولة بخصوصية الإعلام، أم أنهاستريح هامشًا يسمح بوجود إعلام خاص إلى جانب الإعلام الرسمي؟

♦ د. سعد بن طفلة العجمي: أنا أعتقد أنه لن يكون هناك منة من الدولة في أن يكون الإعلام خاصاً، لأن الجهات الرسمية فقدت اليوم قدرتها في السيطرة على الإعلام، والفضل في ذلك يعود إلى الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، لا إلى انتهاج تلك الجهات والمسؤولين فيها للديمقراطية. ببساطة أصبحت الحكومات مكرهة على ذلك، وهذا سيكون الاتجاه المستقبلي.

من جهتي أؤمن أن تفعل الدولة ذلك. فأنا مؤمن أن إحدى أهم علل إعلامنا هو أن العقل الرسمي لم يتجاوز هذه العثراء بعد. لم يدرك بعد أن الزمن - مفاهيم وتكنولوجيا - قد تجاوزه، وتجاوز مقولته في احتكار الإعلام، التي أصبحت أضحوكة أمام المتغيرات، لكنني متفائل أن المستقبل سيكون على حساب هذه العقلية القديمة التي تسيطر وتحكم وتوجه. لم يعد بعيداً اليوم الذي يستطيع، حتى الطفل، أن يثبت قناته الخاصة عبر هاتفه الجوال الذي يحمله في يده، أو كاميرته .. وهذا الأمر ينسحب على إصدار الصحف اليومية .. وغيرها.

سأنتقل إلى صلب المحور الثاني مباشرةً والمتعلق بفحص تغير الخطاب الإعلامي الكويتي خلال السنوات الأخيرة، رغم أنني المحظى إلى بعض الجوانب فيه. أولاً، من الواضح أن هناك خطاباً إعلامياً عربياً متشارباً أو متقطع الخيوط، عماه مسألهان: المسألة القومية، ومسألة عدم التعرض لـ«العلاقات الأخوية» العربية - العربية، وهو ما عرف بميثاق الشرف الإعلامي، والذي التزمت به معظم الدول العربية، عدا قليل منها عرف باختلافه مع هذا النظام أو ذاك بين عشية وضحاها، فتطلب أجهزتها الإعلامية المسغورة عليه .. وإن كان ذلك مؤقتاً.

قضية فلسطين شكلت المحور الأهم في المسألة القومية، وقد كانت الكويت من أكثر الدول التزاماً بها وباحترام العلاقات الأخوية مع الدول الشقيقة إلى أن فرض الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠ أولويات مختلفة.

ولئن كان الاتجاه القومي العام يقوم على دعم القضية الفلسطينية وإبداء التعاطف معها والتفخ في نار العداء للغرب وتحديداً للولايات المتحدة وبريطانيا، فإن هذه الأجندة الإعلامية تغيرت كويتاً، فخفت حدة إلقاء اللوم على الغرب، لكنها ظلت موجهة ضد الاحتلال الصهيوني وممارساته على الأرض الفلسطينية ضد الشعب الفلسطيني.

لقد أعاد الثاني من أغسطس ترتيب الأولويات فأصبحت القضية الفلسطينية في المرتبة الثانية. وأنا أعتقد أنه بعد سقوط النظام العراقي، بسبب هذه العقلية وبسبب أننا كأمة لم نستفد من دروس احتلال الكويت قائدة حضارية عقلية فكرية، كما لم نستفد من درس الحادي عشر من سبتمبر، ولم نتطور - كما يشير تقرير الأمم المتحدة حول التنمية في البلدان العربية - فإننا سنعود القهقرى إلى نفس الأجندة السابقة التي لم نجن منها سوى ما جنينا قبلًا.

كما نعتقد أننا تجاوزنا مرحلة «أحمد سعيد» المرتبطة



صالح العاقل

♦ صالح العاقل: انطلاقاً من هذا العرض التاريخي لبروز فكرة الرسالة في الإعلام الكويتي أود أن نناقش فكرة التوجيه الإعلامي. الإعلام يعبر عن الواقع الاجتماعي، يمكن أن يستشرف المستقبل، نعم، لكنه في النهاية يتوجه إلى الناس فيحمل همومهم وقضاياهم ويحاول تفسيرها، ومحنته هو تطلعاتهم وأمالهم، في المثال الكويتي التحرر والتنمية وأثبات الوجود أمام التحديات والانشغال بقضايا الأمة التي يعتبر الشعب الكويتي وفق الدستور جزءاً منها. هل كان الإعلام الكويتي عندما فعل ذلك على خطأ أو صواب؟

لماذا نحمل على الإعلام الكويتي بوصفه يحمل رسالة «موجهاً» ونهل لعشرات من الوسائل الإعلامية الأخرى؟ لا تتضمن تلك الوسائل رسائل أيضاً؟

أيكون إعلامنا موجهاً وأعلامهم غير موجهاً؟ لا يبدو إذن أن الخلاف فعلاً على مضمون ومحنته رسالة الإعلام الكويتي؟ وما قولك في مفهوم «الوعية المادفة» التي اعتبرها كثير من الإعلاميين الكويتيين مؤخراً جوهر الرسالة الإعلامية الرسمية؟

♦ د. عايد المناع: أولاً أنا لم أحدد موقفاً، ما عرضته هو صورة تاريخية لإعلامنا في تلك الفترة، ولكن الفرق بين الإعلام الرسمي والإعلام الذي وصفته بـ«الخاص» والذي يستخدم أدوات لصياغة الرأي العام وتوجيهه، هو أن الأول غالباً ما يكون في اتجاه واحد، ويعبر عن وجهة نظر واحدة، في حين أن الثاني قد يكون متعدد الرؤى والاجتهادات، وحتى متافقاً في مجال الوصول إلى المستهلك الأخير، وهو المتألق.

دعني أضرب لك مثلاً على ذلك: عندما يكون لدينا في دولة معينة إذاعة أو مائة إذاعة، تعبّر عن رأي واحد فقط لغير، ولا ثبت أي رأي مخالف، يكون ذلك إعلاماً موجهاً، أما عندما يكون لدينا إعلام متعدد، يعبر عن رؤى واجتهادات وأفكار مختلفة، بل ومصالح مختلفة وردود أفعال مختلفة، فهذا وضع آخر، مع قناعتي بأن ذلك لا يعني بالضرورة أن المستهلك النهائي هو المتحكم بالإعلام، فهناك مراكز قوى لها مصالحها هي التي تدير الأمور وتوجهها.

بالنسبة للجزء الأخير من السؤال: قلتُ بأن ثمة رسالة كانت - وما زالت - موجودة في الإعلام الكويتي الرسمي. وبالتأكيد ليس هناك من يتفق مع إعلام موجه، لأن رسالته أحادية الجانب، ولا تعبّر سوى عن رؤية واحدة، وبالتالي هي رسالة غير ديمقراطية، مع ملاحظتي أن الوضع في الكويت الذي فيه نسبة من الديمقراطية منذ عهد الاستقلال، كان هناك أخذ بالتوجهات العامة، ولكن في النهاية يظل الإعلام رسمياً، تحكم فيه الدولة، وليس حراً كما يفترض بالإعلام أن يكون، على الأقل بالمفهوم الرأسمالي .. لابد من وجود إعلام مفتوح.

♦ صالح العاقل: كنا نود أن يكون الاستاذ سعد جعفر موجوداً في هذه الندوة - كما وعد - لينقل وجهة النظر الرسمية في هذا الجانب، وليرحدث عن مستقبل الإعلام الكويتي على ضوء الخطط والأهداف العامة التي حددتها الوزارة، وذلك لإقامة نوع من التوازن بين الآراء. د. سعد أرجو أن تبين من خلال خبرتك كباحث وكوزير سابق للإعلام رؤيتك لما سيقول إليه حال الإعلام الكويتي على

المحلية، الوطنية منها والحياتية، شهدائنا وأسرانا وجراحنا... وتحالفاتها الجديدة، وهذا أدى إلى حشد توجه فكري من أجل هذا الموضوع.

وهناك نقطة أخرى مهمة هي أن الإعلام الرسمي بعد تحرير الكويت تغير نسبياً لجهة التعددية البرامجية والتوجه بعمق وعقلانية أكثر نحو المستمعين والمشاهدين، وبدأ يسلط الأضواء على الإنجازات في المسائل الداخلية ودور الدولة كراعية للمجتمع، توفر مواطنينا كل شيء من المهد إلى اللحد، وهذا طبعاً وإن كان موجهاً إلى الرأي العام في الداخل إلا أنه يعد رسالة «متعددة» لمشاهدين ومستمعين في الخارج. وأعتقد أن الإعلام الكويتي في هذا الجانب يحمل رسالة واقعية من حيث مخاطبة الناس بما يتحقق، وهذه درجة لا يتأس بها من الموضوعية.

ومن الضروري أن أشرح مقدار الموضوعية في هذا الأمر:

الإعلام الرسمي ذو اتجاه واحد، أي لا يعبر إلا عن رأي واحد، هو رأي مالك المؤسسة (الدولة)، ولذا لن يكون

موضوعياً بإطلاق، لكن مع ذلك فإن إعلامنا فيه

مساحات تسمح بوجود الرأي الآخر من خلال بعض

البرامج الحوارية التي بدأت بالظهور، خاصة بعد

التحرير.

يبقى أن نسأل: هل يستطيع الإعلام الكويتي الرسمي أن يجارى الفضائيات التي يطلقون عليها صفة « خاصة » - وإن كنت أتفق مع د. سعد أن وراءها جهات أخرى - الجواب هو: لا، لأن سقف الحرية في تلك الفضائيات مرتفع جداً بحيث لا يمكن مقارنة مثيله في الإعلام الكويتي به، وهذه الحرية تمنع تلك الفضائيات القدرة على أن تطرح ما تريد وبالكيفية التي تريده، الإيجابي والسلبي يطرح على الهواء مباشرة وعلنا، بل ويمكن توجيه الشتائم والبذاءات.

صالح العاقل: من الواضح أن مداخلاتكم في المحورين السابقيين قد أفضت إلى نتيجة هي في الواقع المحور - السؤال اللاحق لهذين المحورين: هل يعني الإعلام الكويتي أزمة؟ وما طبيعتها؟ وقد اتفقت آراؤكم - حتى ملاحظة الأخت فوزية حول محطة «سواء» - على أن جوهر تلك الأزمة هي انخفاض سقف الحرية، والأحادية، وتجاهل المشكلات الحقيقية المعيبة للنمو والتقدم الاجتماعي، وما إلى ذلك ...

لكن، ما معالم تلك الأزمة؟ كيف تبدى في موضوع الإدارة وتنمية وتطوير الكادر البشري؟ ما أوجه الربط بين الفكر الإعلامي ونتائج المادية المتحققة على الأرض من حيث العلاقة بين الإدارة والعامليين في الحقل الإعلامي، وإلى أي حد تعيق هذه العلاقة أو تسهل عملية التطوير والتحديث في التقنية والخطاب والعمل على الذات؟

د. سعد بن طفلة العجمي: هذا بالضبط ما أرد تناوله، وما يجعل المقارنة بين الإعلام الكويتي الرسمي - وتحديداً التلفزيون - والفضائيات الأخرى مقارنة تقfer إلى التكافؤ، فتلك الوسائل الإعلامية، ومهمماً تكن الحكومات أو الجهات التي تقف وراءها تملك آلية ديناميكية لاختيار الكادر البشري ومكافأته مالياً وإدارياً بطريقة مختلفة وبحرية أكبر مما لدى التلفزيون الكويتي والمؤسسات الرسمية الإعلامية المرئية والمسموعة والمكتوبة.

ثمة مشكلة حقيقة في أن يكون لديك عشرة آلاف موظف وأربع محطات تلفزيونية وخمس محطات إذاعة، في حين أنك في الواقع لا تحتاج حتى ألف موظف لكل ذلك، إذا كان هناك «فلترة» ومؤسسة رسمية تلفزيونية وإذاعية كويتية، وتعطي الباقي للقطاع الخاص، وضمن

بهزيمة عام ١٩٦٧، نجد أنفسنا وبالملاليين نقف لنستمع إلى «أحمد سعيد الصحاف»، بل ونعيده مرة أخرى عبر شاشة إحدى الفضائيات التي يفترض أن تكون قائدة ورائدة في عالم الإعلام العربي اليوم لكي يعيد وباللغة نفسها مكان يقوله!

أي إسفاف هذا؟ وأي احتقار للعقل؟

صالح العاقل: لماذا نحتاج بالمتغيرات لنصف الوضع الإعلامي وتغيير اتجاهه جذرياً؟ قد يرى آخرون في تلك المتغيرات سبباً للبقاء عليه (مع تطويره طبعاً)، خاصة وأننا لسنا لاعبين أساسيين في تثبيت قواعد نتائجها. فيما متواافق عليه من دور جوهرى للإعلام في صراع المصالح وتكون رأى عام حوله. وإذا كان الآخر - وهو رسمي ممثلاً بحكومات وشركات متعددة الجنسية تمسك عملياً بمقاييس الحكم - يعود إلى الإعلام الموجه، لماذا نريد تكميم فيه إعلامنا الرسمي، ولديه - كما يعلن المسؤولون في الإعلام الكويتي - رسالة توعية هادفة، ربما لم تستكمل بعد، سواء داخلياً أو عربياً أو على حلبة المصالح العالمية؟ هذا ما نريد أن نناقشه في المحور التالي.

د. سعد بن طفلة العجمي: هناك شقان لهذه المسألة، الأول شق مالي وتجاري، مرتبط بمراكز قوى تستطيع أن تؤثر في آلية اتخاذ القرار السياسي، وهذا موجود في الولايات المتحدة الأمريكية، وبدرجة أقل في بريطانيا، هناك احتكار، وبسبب من هذا الاحتكار يعتقد بعضهم أن هناك من سيأتي ليحتكر إعلامنا... أعتقد أن هذا ليس بيت القصيد.

أنت تتحدث عن أن يكون للدولة الكويتية إعلام... ما إن تطلق من هذا المنطلق حتى نجد أنفسنا قد أصطدمنا بما نحن مصطدمون به اليوم، ونناقضه، وهو أن الإعلام الكويتي يعيش أزمة، وذلك بسبب الأبوية والفوقيـة في التفكير وكيفية توجيه الرسالة الإعلامية. الآخرون، وبسبب ارتباط الإعلام بالحرية والسياسة ودوره في عملية اتخاذ القرار السياسي تجاوزوا هذه المرحلة، في حين أنها غارقون فيها لأننا نعتبر الإعلام جزءاً من السياسة، لا يؤثر في قراراتها، وإنما يؤثر في توجيهه متخد القرار السياسي.... وهذه هي الأزمة.

وبالنسبة للمحطات الإذاعية والتلفزيونية التي أشرت إليها، القديمة منها والتلفزيونية التي أشرت منذ الأربعينيات والخمسينيات لا يستمعون إلا لـ «B.B.C» وغيرها ولا يستمعون للإذاعات العربية، خذ مثلاً محطة «سواء»، إنها تشكل تحدياً جديداً للآخرين في طريقة طرحها وفي القضايا التي تطرحها: ما رأيك بالمرأة؟ ما رأيك بمتعدد الزوجات؟ ما رأيك بكلنا...؟ وهذه قضايا محمرة في إعلامنا العربي. أما موضوع الملكية الرسمية فإنه ينسحب على صوت أمريكا والـ «C.N.N» (B.B.C) (وMonet كارلو) إلخ.

فوزية شوش: اسمحوا لي بهذا التدخل، محطة «سواء» هي أذكى جهاز إعلام موجه في الوطن العربي، فهي تلتقط الشباب «الذين نريدهم» بعد عشر أو خمس عشرة سنة، ويعدهم لمخطط أبعد من اليوم، لأن الكبار مبرمجون ومنتھون، هذه المحطة تعلم الشباب الديموقراطية والتسامح من خلال أسلحة بسيطة، مثل إذا ضربك أخوك الأصغر هل تسامح؟ لقد سحبت دور المربى من يد الحكومات!

د. عايد المناع: أتفق مع د. سعد أن الخطاب الإعلامي الكويتي كان جزءاً لا يتجزأ من الخطاب الإعلامي العربي حتى عام ١٩٩٠م، بعد ذلك عاد التركيز على القضايا

فايزه المناع

■ الكويت كانت سباقة في ميدان الانفتاح لما تمنت به من حرريات عامة وحرية إعلامية خاصة.. ومع ذلك تجاوزنا الآخرون فيما نحن غارقون في محاذير الضوابط الإعلامية.

■ ما من قيود تمنع القطاع الخاص الكويتي من الاستثمار في أي مكان في العالم.. فنحن لدينا قضايا تستحق اهتماماً رسمياً وأهلياً أكبر.

■ الموقف السلبي من رسالة الإعلام الكويتي في الستينيات والسبعينيات لا تاريخي.. وأعتقد أن محتواه كان مستثيراً واعياً بمسألة الهوية أكثر مما هو عليه اليوم.

■ كان إعلامنا في بداياته عميقاً ومؤثراً وكان يترجم فكرًا ورؤياً عبر برامج مهمة عبرت عن تعددية صحية مثل «المائدة المستديرة» و«الكويت الوجه الآخر»، فأين نحن منه الآن؟

■ ثمة تراجع عن محتوى ومضمون إعلامنا، ولا بد من التخطيط المدروس للنهوض بهما وإعادة الاعتبار لاهتمامه بالفن الجاد خاصة المسرح والدراما التلفزيونية.

■ تطوير العمل الإعلامي يجب أن يرتكز على تأهيل كفاءات جديدة مبدعة وتعديل اللوائح القديمة بما يضمن زيادة الحوافز للمبدعين.

فوزية شووش

■ محطة «سو» هي أذكي جهاز أعلامي موجه في الوطن العربي.. فهي تلقط الشباب «الذين نحن نريدهم»، بعد عشر أو خمس عشرة سنة وتعدهم لخطط أبعد من اليوم .. وتعلّمهم الديمقراطية والتسامح.

■ وجود إعلام خاص إلى جانب الرسمي يتبع المجال أمام مختلف قطاعات وقوى المجتمع للتعبير عن آرائها .. ولكن هل تفرز خطط التنمية لدينا طاقات إعلامية مبدعة؟

■ نحن نحتاج إعلاماً يهتم اهتماماً جاداً بقضايا الشباب .. ولابد من وقف فوضى القرارات العشوائية في الإعلام.

■ بلغت أزمة إعلامنا مرحلة تحتم ضرورة الفريلة على أسس ومعايير الكفاءة والثقافة وتكافؤ الفرص.

■ هناك قيود مجتمعية تتزايد كمَا وكيفاً وتضيق على الإبداع والاستثناء والوعي .. أين منا الستينات والسبعينات الاجتماعية التي كانت أكبر من رفض أو موافقة وزارة الإعلام؟

■ الإعلام الثقافي الكويتي هو وجه الكويت الجميل .. وعلينا أن نحافظ عليه ونحفل المبدعين الذين نستقدمهم للعمل فيه.



فوزية شووش
مصراعية وتركتها يقولون ما يشاؤون، ولا نحن أخذنا موقفاً رسمياً حاسماً منهم لكونهم مسؤولين عن تلك الأجهزة المسمومة.

الآن بعد سقوط صدام حسين يفترض أن نتجاوز ذلك الوضع الذي لم نكن نحسد عليه، وثمة سؤال يطرح نفسه: هل سيبيقي رد الفعل الرسمي على ما هو عليه، أم ستقوم الكويت بإنشاء أجهزة إعلامية (فضائيات) مشابهة، وأتنا أسميتها (تمثيلية) لكي ترد على هذا وذاك، على نحو غير حضاري، بل فوضوي، يزيد الطين بلة؟

وأعود إلى موضوع الكادر البشري. أعتقد أن لدينا كوادر قادرة على تمثيل واقع إعلامي جديد ومتطور، ولكن فقط عند إطلاق ديناميكية جديدة لاتخاذ القرار، تتجاوز ضوابط وقيود ديوان الخدمة المدنية وديوان المحاسبة. فتحت نير تلك الضوابط والقيود أقول: لا، وألف لا. إذا كانا نريد فعلاً حرية إعلام فعلينا أن ننهي الأساس الحرية القرار، ولا يمكن عند كل صغيرة وكبيرة أن تعود إلى «اللوائح» لتحديد أجر هذا المصور أو ذاك المذيع، أو ذلك الممثل أو المعد أو غير ذلك. ولك أن تخيل أن أحد المسؤولين الإعلاميين (أيام الوزارة) كان يريد أن يعرض الأعمال الفنية على ديوان المحاسبة لطرحها في مناقصة(!).

فتتصور أن يأتي مبدع بفكرة، بمسلسل، بقصة، بفيلم، بمسرحية، وهي كلها أعمال إبداعية ذاتية، فتحول إبداعه ذاك إلى ديوان المحاسبة ليحصل على ميزانية غير مناقضة! هذه عقلية قديمة مقيّدة، لا تنتج إعلاماً فاعلاً.

ولو شئت تحديداً أكثر لأزمة الإعلام الرسمي الكويتي أقول: إنها لا تخرج عن إطار أزمة الدولة الكويتية بشكل عام في هذه المرحلة - والتي هي ليست سمة كويتية -، وفيها جانبان: العام والخاص. قلت إن هناك أزمة عامة فيما يتعلق باتخاذ القرار، وعلى نحو سريع في كافة المستويات، ومنها المستوى الإعلامي، ثم هناك الأزمة التقليدية الكامنة في فهم الإعلام، والتي تتجسد في مقوله إن الدولة هي راعية الإعلام وحاضنته وممولته وأبوه الأول والأخير... ثم هناك مشكلة الخلط بين حرية الإعلام وحرية إنشاء المؤسسات الإعلامية المختلفة (وحربة الإصدار)، فلدينا أنت حر في أن تعبر عن رأيك، ولكنك لست حرًا في إصدار وسائل وإنشاء مؤسسات إعلامية، مرئية كانت أو مسموعة أو مقروءة. وخوفي - كل الخوف - أن تقرأ كثيراً من مراكز القوى التي تريد أن تعمل على احتكار المؤسسات الإعلامية القادمة بمختلف صورها، هذا الواقع على أنه باسم ضرورة اشتراك القطاع الخاص، دون أن يكون هناك عدالة وتكافؤ للفرص.

شروط وضوابط، ليس وفق نظرية الاحتياج التقليدي للإعلام.

وأريد أن أضيف شيئاً حول موضوع الحرية في الإعلام، أعتقد أننا كنا أسرى «صدام حسين» طوال السنوات الثلاث عشرة الماضية، كانت البوصلة التي تحدد الموقف الرسمي من الآخرين هي مواقفهم الرسمية من نظام صدام حسين، وبالتالي نحن بعنا أمواساً وسموماً من أقرب الأقربين لأجل موقف هذه الدولة أو تلك من ذلك النظام، في حين أنها كانت تفتح تلك السموم عبر أجهزة إعلامية ترعاها وتبحث من داخل حدودها. وبقينا بهذه المرأة، فلا نحن فتحنا الباب على



من قديم التلفزيون

من حقها أن تتحكر مثل هذه الوسائل وتحول دون امتلاك الآخرين لها، فاما أن توسع هامش المشاركة في وسائلها الإعلامية أو تتيح للآخرين ممارسة حقوقهم في إقامة مؤسساتهم المماثلة.

هكذا يمكن ضمان تشكيل رأي عام متعدد وعقلاني، لأن المتلقى يستطيع استلام «أكثر من رسالة» ويحدد موقفه على ضوء «حوار» تلك الرسائل، بناء على توجهاته ونضجه.

• صالح العاقل: طوال الحوار - د. سعد - وأنت تحاول قراءة ما في ثايا؟ أسلتلي: اسمح لي لمرة واحدة قراءة ما في ثايا آرائك.

كما فهمت أنك مع خخصصة الإعلام في دولة الكويت، وإلغاء الوزارة التي تتوجه، وهذا ما تريد قوله؟

• د. سعد بن طفلة العجمي: (ضحك) يمكن أن تبقى الإذاعة والتلفزيون بشكل رسمي. الحق أن أكثر ما يخف هو القول إنك تريد إلغاء وزارة الإعلام، وذلك لاعتقادهم أن إلغاءها سيطوي الجميع الضوابط، ويحل الفوضى، وهذا الخوف هو جزء من العقلية القديمة المؤمنة بضرورة احتكار الإعلام، مع أن التكنولوجيا - كما ذكرنا - قد تجاوزتهم، وجعلت مفهوم الاحتكار أضحوكة.

نحن بحاجة لإعادة تنظيم، وكل ما سيمضي سيمضي، سواء بالإبقاء على الوزارة أو إلغائها، ولقد تفضل الدكتور عايد بالقول: إن «وزارة الإعلام» فكرة شيوعية، لتوجيه الناس وغسل أدمغتهم وأدجلتهم.

أنا أرى الحل في إلغاء وزارة الإعلام، مع إيجاد ضوابط إعلامية، ففي الولايات المتحدة الأمريكية ليست هناك وزارة إعلام ولكن هناك (F.C.C) وكذلك الأمر في بريطانيا، ولديهم (H.P.C). وهيئات مماثلة (مع بعض الاختلاف) في فرنسا... ورغم عدم وجود وزارات إعلام إلا أن الشخص الذي يخرق ضوابط تلك الهيئات يُحال إلى المحكمة من قبل الدولة أو أي شخص يتضرر من الوسيلة الإعلامية. نريد شيئاً من هذا القبيل، وليترك الناس أحراراً ومتتساوين وفق مبدأ تكافؤ الفرص أمام

ونستعيد الأجندة السابقة المتمثلة بالعداء للغرب، فلسطين، ميثاق الشرف العربي الذي يحرم الحديث عن الأنظمة العربية وغيرها، على الأقل تلك التي تعيش خارج العصر.

• د. عايد المناع: هذا محور مهم، وأنا أرى أن الكويت ثقافة وقيمًا اجتماعية - في المقارنة مع إقليمها يمكن أن تسمى دولة ديمقراطية ودولة حرية، والمكتسبات الأولى من الحرية والديمقراطية في الكويت كانت بدايات جيدة، والنقص فيها قانوني وليس دستوريًا، خاصة فيما يتعلق بالمشاركة السياسية للمرأة.

هناك توجهات إعلامية مختلفة في التعامل مع هذين المفهومين والتجريتين، فهناك الليبراليون المطالبون بتوسيع القاعدة الديمقراطية، وهناك الآخرون من القوى الإسلامية تحديدًا ترى عوائق شرعية أمام مشاركة المرأة في الانتخابات، وكل التيارين يعبر عن مواقفه وهذا حقهما، لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل نحن دولة ديمقراطية ودولة قانون، أم دولة خلافة وشريعة؟

هذا بشكل عام، ولكن الإعلام الرسمي يتبنى موقف الدولة الرسمي، فهو لم يتحدث عن الحقوق السياسية للمرأة إلا بعد أن أصدر سمو الأمير مرسومه بمنع المرأة تلك الحقوق، وبدأ بالضغط حول هذا الموضوع، وهذا يعيينا إلى المنطلق: مالك الإعلام ومملوكيه هو الذي يحدد مواضعه واتجاه ما يملكه، وإن أعطى الآخرين مجالاً هنا أو هناك للتعبير أو التعبير في هذه الزاوية أو تلك.

وليس منفصلاً عن محور علاقة الإعلام بالحرية والديمقراطية أن أؤكد أن أزمة إعلامنا الرسمي والإعلام العربي الرسمي برمتها تكمن في ملكية الدولة لوسائل الإعلام أو جانباً منها، والخوف من الحرج السياسي الذي قد تسببه فيما لو انطلقت بحرية كاملة، وهذا يبدو احتكار الإعلام باسم رسالة ما وتوجيهه على هذا النحو لب المشكلة.

لكن هذا لا يعني تجريد الدولة من أية وسائل إعلامية، فمن حقها مثلاً أن يكون لها الإذاعة والتلفزيون، لكن ليس



إعلام الكويت .. وتوسيع قاعدة المشاركة الشعبية

الدستور، كما لابد من تخطيط واع، يضع حدأً للعشوشية في النظر إلى المستقبل واعداد الكوادر البشرية الإبداعية. واسمح لي في هذا المقام بالإشارة لعمق مركزي يعترض سبيل أبنائنا في هذا المجال هو نظام التعليم الذي يتلقونه في مدارسنا، ويقوم على برمجة الطالب وقتل ملكاته الإبداعية منذ الطفولة.

• فايزه المناع: تستوقفنا هنا مفارقة محزنة - ولا أتحدث بشكل عاطفي بل علمي مقارن - وهي أن الكويت كانت سباقة في ميدان الانفتاح لما تمنت به من حريات عامة وحرية إعلامية خاصة، في المنطقة، ومع ذلك فقد تجاوزتنا الآخرون، فيما نحن غارقون في محاذير الضوابط الإعلامية لماذا لم تمنع الضوابط القائمة على حسابات المصالح الداخلية والعربية والعالمية الأكثر تقيداً دولياً أخرى في منطقتنا من إطلاق منافذ إعلامية (تمثيلية كما أسمهاه). سعد (عaid) استفادت منها، مثل «الجزيرة» و«العربية» وقبلهما M.B.C، وحظيت تلك المنافذ بجمهور واسع، دفعه إليها هامش الحرية والتنوع الواسع؟

والى أي حد تقيد تلك الضوابط القطاع الخاص الكويتي في مجال تأسيس منافذ مماثلة لها، خاصة وأن للكويت قضایاها التي تستحق اهتماماً رسمياً وأهلياً أكبر؟

• د. عايد المناع: هناك أكثر من سبب، لكن السبب الأكثر جوهرياً والذي حال دون فتح الكويت لمنافذ (قنوات) إعلامية تستجيب لدرجة افتتاحنا التي بدأت قبل وقت طويل هو «مدارة الخواطر العربية»، باعتبار أن إعلاماً خاصاً، أو مملوكاً بشكل غير مباشر يؤثر على علاقاتنا بالدول الأخرى.

يضاف إلى ذلك أنه ليس هناك إدارة في الدولة تفكر في أن يكون للكويت رسالة عربية أبعد من الإعلام الرسمي. ليس لديهم مثل هذا الطموح، فالإعلام الرسمي - من وجهة نظرهم - «يؤدي ما نريد وليس من الضروري أن يجذب جمهوراً أكثر مما نريد»، وهذا برأيي قصور لابد من تلافيه، ليس للأسباب التي ذكرت سابقاً المتعلقة بالحرية والتنوع والعلمانية .. بل من أجل الحكومة نفسها،

تلك الضوابط. فليذهب المتضرر إلى القضاء ولنجعل ما يسمى بقانون المطبوعات أو أي قوانين إعلامية، فهذه المسائل من اختصاص القانون المدني، نحن بحاجة لعقود تعبر عن متغيرات العالم، وتتكرر على هذا النحو، للتحرر من قيود الماضي في التعامل مع الإعلام ومفهومه.

المسألة مسألة مفاهيم، لا أشكال، لماذا ستفعل عشرة آلاف موظف في الكويت؟ هذه هي المشكلة.

• فوزية شويش: أتفق مع د. سعد ود. عايد بضرورة أن يكون لدينا إعلام شعبي (أهلي) إلى جانب الإعلام الحكومي، وذلك لإتاحة المجال أمام مختلف قطاعات وقوى المجتمع للتعبير عن رأيها. ولكنني أتساءل: فيما لو سمحت الدولة بذلك، هل الكادر البشري - قادر على أن يكون في مستوى إعلامي منشود؟ هل خطط التنمية البشرية التعليمية والاجتماعية تفرز طاقات إعلامية مبدعة تستطيع استشراف المستقبل؟

هل لدينا إعلاميون متقدون وواعون، لا انفعاليون وأنئون ومبرمجون بهذا الاتجاه أو ذلك؟ وهل سيكون لنا إعلام مستير يتجاوز عقد المحافظة وألعاب إلهاء الناس بمسائل صغيرة وسطحية عن مستقبلهم؟

نحن نحتاج إلى إعلام يهتم اهتماماً جاداً بقضايا الشباب. خذ مثال محطة «سو»، هل هناك دولة عربية واحدة أنشأت محطة للشباب؟

لابد من إفساح الطريق أمام التجديد، ولابد من الاهتمام بإعداد الكادر البشري وتنقيمه وتطوير معارفه التقنية، ومن هو غير كفء، أو يشغل موقعاً أعلى من قدراته في «ليوخر»، فقد وصلنا إلى مرحلة حرجة تحتاج غربلة حقيقية على أساس ومعايير الكفاءة والثقافة وتكافؤ الفرص.

ثم هناك فوضى خطط وقرارات، لدى أمثلة عديدة عليها، ما معنى أن تتبعن الدولة طبلة لدراسة الإعلام في أرقى الجامعات العالمية، ويعودوا للعمل في البنوك أو غيرها؟

خلاصة القول: لابد من مزيد من الحرية الإعلامية - وهي كما قدمت في سؤالك قبل قليل - مصانة بقوة



من قديم التلفزيون

للمحور الثاني من هذه الندوة المتعلق بفحص تغير الخطاب الإعلامي الكويتي.

كثيراً ما تکال الاتهامات في بعض الأوساط اليوم لمحتوى ومضمون الإعلام الكويتي في الستينات والسبعينات، ولكن انطلاقاً من معايير الحاضر التي نشأت بفعل التغيرات الإقليمية والدولية التي شهدتها العقد الأخير وأيا تكن دقة أو سلامية تلك المعايير إلا أن أقل ما يقال عن هذه الاتهامات إنها لا تاريخية.

ويرأي فاني. أجـد - بالقياس إلى محتوى خطابنا الإعلامي اليوم وما يعبر عنه أو ينتجه - أن محتوى ومضمون مثيله في تلك الفترة كان عميقاً ومؤثراً، وكان يترجم، فكراً ورؤياً، عبر برامج، ليتها تستعاد وتتطور، لأنـا افتقدنا مثيلاتها منذ وقت طويـل، مثل برنامج

«المائدة المستديرة» و«الكويـت .. الوجه الآخر» وغيرها.

دعونـا نـتذـكر الاهتمام بنـقل مسرحيـات الـستـينـات والـسبـعينـات التي كانت تـتمتع بالـفنـية الـعـالـيـة وـتـطـرـح

وـتـعـالـج مـوضـوعـات ذات عـمق فـكـري بـأسـاليـب بـسيـطة.

يمـكتـي فـهم نـقـد الذـات لـتجاوز العـثـرات والأـخـطـاء وـتـطـوـير

الـإـعلام خـطاـباً وـتقـنيـة، لكن جـلد الذـات عـلـى هـذا النـحو

فـ«الـجـزـيرـة» أو «الـعـربـيـة» أو غيرـهما توـفر للـدولـيـة أـطـلاقـتها، وـتـقـفـ وـرـاءـها - بشـكـلـ غيرـ مـباـشـر - إـمـكـانـيـة الاستـقـادـةـ منهاـ، ولوـ فيـ مـوـضـوعـ أوـ مـوـضـوعـينـ خـلـالـ عامـ أوـ أـقـلـ، وـهـذـاـ أمرـ مـهـمـ جـداـ، يـبـدوـ أنـ الـحـكـومـةـ الـكـويـتـيـةـ لـمـ تـفـكـرـ بـهـ.

تبـقـيـ هـنـاكـ نقطـةـ أـخـيرـةـ، لـاتـقـلـ أهمـيـةـ، هيـ أنـ رـاسـ المـالـ الكـويـتـيـ جـبـانـ فيـ اـتـجـاهـ الـاستـثـمـارـ فيـ الإـعـلـامـ، لمـ يـجـرـؤـ

عـلـىـ اـقـتـحـامـ الـمـيدـانـ الـإـعـلـامـيـ لـأـمـلاـكـ مـؤـسـسـاتـ الـخـاصـةـ خـشـيـةـ أـلـاـ تـرـيحـ تـلـكـ المؤـسـسـاتـ أـلـاـ تخـسـرـ.

قدـ يـقـولـ بـعـضـهـمـ إنـ لـدـنـاـ قـوـانـينـ مـقـيـدةـ وـحـسـابـاتـ وـماـ إـلـىـ ذـلـكـ، وـلـكـ مـاـذـاـ لـاـ يـقـتـدـونـ بـقـنـاةـ «الـمـسـتـقـلـةـ»؟ـ محمدـ

الـحـامـدـيـ كـانـ يـمـلـكـ جـريـدةـ بـهـذـاـ الـاسـمـ، وـأـنـشـأـ مـحـطةـ

فضـائـيـةـ فـيـ لـندـنـ.

أـينـ رـأـسـمـالـيـونـاـ الـمـخـضـرـمـونـ الـذـينـ لـدـيـمـ مـلـاـيـنـ وـبـلـاـيـنـ منـ شـجـاعـةـ هـذـاـ الرـجـلـ؟ـ لـيـحـسـبـوـهـاـ تـجـارـيـاـ يـاـ أـخـيـ، فـهـيـ تـخـدـمـهـمـ بـالـتـأـكـيدـ، خـاصـةـ إـذـ اـسـتـطـاعـواـ اـجـتـذـابـ عـدـدـ

مـنـافـسـ مـنـ الـمـاتـابـعـينـ.

• فـايـزةـ الـمانـعـ: أـودـ التـعـقـيبـ عـلـىـ نـقـطـةـ أـخـذـتـ حـيزـاـ وـاسـعـاـ

مـنـ حـدـيـثـ كـلـ مـنـ دـ.ـ سـعـدـ وـدـ.ـ عـاـيدـ أـشـاءـ مـعـالـجـتـهـمـاـ



يريدون من مواقف.

صالح العاقل: لكي تكون منصفين .. كثيرون ربما لا يوافقونك هذا الرأي الأخير خاصة، وربما تشعر هذه القوى والشخصيات أن هوية المجتمع ومعتقداته وقيمه تتعرض للتهديد، ومن واجبها المنافحة عن ما تؤمن به، كما تنازع أنت عن أفكارك، وبوسائل ديمقراطية ودستورية (المادة ١٠٠) ورغم أن هذا ليس جزءاً من ندوتنا ولكنهم - كما يقولون - هناك القوى التي تقف على الجانب الآخر، كبعض الليبراليين المتحفزين لتسفيه أي رأي إيجابي بالهوية العربية الإسلامية والهوموم القومية المشتركة، كما يعتقدون بوجود هجوم على قيم إسلامية تعتبر من أركان العقيدة.

د. عايد المناع: أنا تحدثت عن مسألة التأثير، وهي المهمة هناك قوى تأثيرها أكبر من قوى أخرى، والقوى الإسلامية وأنا أحترم رأيها تماماً، وأعتقد أن من حقها المطلق أن يكون رأيها موجوداً، ولكن لا أتفق مع فرضها لهذا الرأي من خلال التهديد والوعيد وما شابه ذلك. فمثلاً وحتى قبل أن يتسلم وزير الإعلام منصبه بدأ التلويح بملحقته واستجوابه، وهذا منطق غير صحيح، ثم إن القضية المثارة ضده أمور صغيرة وقنية بحتة لا يعلم بخصوصها الوزير أو الوكيل ولا يفترض أن يعلم عنها. وعندما يكون الوزير تحت مثل هذه الضغوط هل تعتقد أنه سيتيح الفرصة لأي إنسان مبدع؟ على العكس سيخاف من أي إبداع، وسيتجنب صاحبه، ويحرص على الإتيان بالتقليد والمتقوّعين، ليقدموا له برامج كييفما اتفق (مشي الحال)، أملاً في الفكاك من هذه «الفوضى» والتشريع، فالاستجواب رغم أنه مادة دستورية لدينا، وهو تقليد ديمقراطي دوري رائع في كل البلدان الديمقراطية إلا أنه عندنا يمارس بعد تحديد الموقف سلفاً، وكأن المطلوب هو «رأس الوزير» وليس تصويب هذا الموضوع أو ذاك.

أعود إلى ما طرحته الأخت فايزة، في الفترة التي تحدث عنها لم يكن لدينا هذا الاستقطاب، وهذه القوى لم تكن موجودة بشكلها الأصولي الحالي، كان هناك تيار قومي منفتح، ومساحة محدودة من الحرية الإعلامية ليس في الكويت فقط، بل في كل البلدان العربية، ولذلك عندما يضيق هامش تلك الحرية هنا أو هناك لا نشعر كثيراً بذلك لعدم وجود إعلام آخر نقيس على حريته حرية إعلامنا.

يفتقر برأيي إلى الموضوعية ويجانب النظرة التاريخية الازمة لكل تحليل. ثم إن محتوى الإعلام الكويتي في تلك الفترة كان على قدر من الاستارة والوعي بمشاكل المجتمع آنذاك، ربما أكثر مما هو عليه في هذه الأيام .. والأمر نفسه ينسحب على مختلف أشكال الدراما، التي أراها اليوم مستقرفة... .

• د. عايد المناع: إذا كنت تتحدثين عن «تراجع إعلامي» عما كان عليه في السبعينيات فأنا لا أشاركك الرأي. علينا أن نتذكر أننا كنا نفتقد مشاهدة محطات أخرى لنقيس تلفزيون الكويت عليها أو نقيسها عليه، داخل البلد على الأقل، وممعظم الإذاعات العربية المسماة كانت مثل إذاعتنا موجهة، رغم هامش الحرية الأوسع لإذاعة الكويت آنذاك، في حين أن المقارنة اليوم باتت متاحة على نحو مريح. هناك اليوم مئات محطات التلفزة والإذاعة التي اجتاحت المنطقة، والتحدي الآن هو الكيفية التي استخدمت بها هذه المحطات (والفضائيات خاصة) لجذب الجمهور.

الإعلامي الحقيقي يسأل دائماً: من هو جمهوري؟ من أتجه؟ للجمهور المحلي أم الإقليمي والعربي أم للعالم؟ وعلى هذا الأساس يحدد موضوعاته ومساحاته. علينا أن نركز على الهدف.

معظم المحطات العربية المعروفة اليوم حددت هدفها بالجمهور العربي لذلك يشيع فيها مناقشة قضايا عاطفية أكثر منها عقلانية، مثل فلسطين والعراق .. وبطريق عاطفي غير واقعي.

• فوزية شويش: عطفاً على ما قالته الأخ فايزة أود الإشارة إلى أن فضاء الحريات الاجتماعية كان أكبر مما هو عليه اليوم، ولا أقصد الحريات الدستورية بل تلك التي تحرك مفاهيم المجتمع وفقها، بمعنى قبول الرأي الآخر بين أبناء المجتمع أنفسهم.

لتأتمل في الضجة «الاجتماعية» التي أثيرت حول مسلسل «حتى التجمد» وتناثر حول مواضيع سطحية أخرى، حتى داخل مجلس الأمة.

هناك قيود مجتمعية تتزايد كمَا وكيفاً، وتضيق على الإبداع والاستارة والوعي الذين أشارت الأخ فايزة إلى وجودهم في السبعينيات والسبعينيات، وصيغت محتوى إعلامنا في تلك الفترة، فحتى لو أجازت وزارة الإعلام برنامجاً أو عملاً درامياً ما، تنهض تلك القيود لتعترض طريقه «وتمنعه»، أو على الأقل تثير ضجيجاً ولغطاً حوله. أين منا اليوم تلك الحريات المجتمعية التي كانت أكبر من رفض أو موافقة وزارة الإعلام آنذاك؟

• صالح العاقل: يبدو لي أن الحوار بدأ الآن بالاتزان، ففي الجزء الأول انصب الاهتمام على قياس التغيرات في الخطاب الإعلامي الكويتي على المتغيرات الخارجية أساساً، وبعض تداعياتها السياسية الآن تطرح قضية التغيرات الداخلية - الاجتماعية تحديداً، ما رأيك د. عايد؟

• د. عايد المناع: نحن نعيش حالة من طغيان المتحفزين لكل عمل لا يملك «فتوى»، وهناك حالة حصار فعلى لكل ما هو مبدع، حصار يتزعمه - بكل أسف - بعض من البرلمانيين، وهم المنوط بهم الدفاع عن الحرية. وهذه الحالة - أيضاً للأسف - هي تغير مجتمعي، لا يستطيع الإعلام أن يتحكم بها، ربما يحاول اختراقها حيناً، وينهي رأسه أمام عاصفتها أحياناً أخرى.

علينا الإقرار أن هناك أشخاصاً وقوى توجههم العقائدي والفكري ضد الحرية والديمقراطية ولديهم قناعة أنهما إفساد وإعطاء المجال للغوغاء وعامة الناس أن يخدعوا ما

الإعلام الكويتي إلا أنها علينا مراقبة الوسائل الإعلامية الأخرى وتخيّر الأفضل منها والأكثر كفاءة وإبداعاً واجتذبها، فكثير من الفضائيات الناجحة لا تنهض بمقدرات مواطني البلدان التي تمولها أو تتطلق منها، مثل هذه الخبرات تقيد الإعلام الكويتي ولا شك، ولكن علينا بالمقابل أن نوفر لهم الحرية التي يتمتعون بها حيث يكونون، وإلا فسيتحولون إلى «مثل حالتنا» ويعجزون عن تقديم شيء.

ولا يأس أن أعقب على موضوع الثقة، وإن كان مجرد اعتقاد. ربما خمسون في المئة هي نسبة ثقة الجمهور الكويتي بعلامته، ومردم هذه النسبة غير العالية هي إيمان المتلقى أن الإعلام يتحدث باسم الجهات الرسمية، وربما لا يقدم الصورة الحقيقية.

في المقابل هناك متابعة كثيفة للصحف الكويتية داخل الكويت وخارجها، لاعتقاد المتابعين أنها تأتي بـ«الحقيقة» التي لا يقولها الرسميون. واعتقد أن الثقة بالإعلام الرسمي الكويتي يمكن أن تتعزز كلما ارتفع سقف الحرية.

• فايزة المانع: من المهم التفكير بموضوع الاستيعاب ووضع حلول عملية وعلمية له، مع مراعاة تقليص الآثار الاجتماعية للأمر في أضيق الحدود، لكن المسألة في الحقيقة باتت ملحة.

وأنا أعتقد أن الفوضى في آية مؤسسة والمؤسسات الإعلامية خاصة توحى دائماً بعدم الثقة، هذا فضلاً عما ينبغي أن يكون عليه الخطاب الإعلامي من الدرس والتحليل والفحص الدوري بما يستجيب والفلسفة التي يفترض أن تكون منطلقه وقاعدته توجيهه.

يبقى أن أشير إلى أمر لا يقل أهمية عن كل ما ذكرت، وقد عرض إليه كل من د. سعد و د. عايد في حديثهما وهو «الحافز» لا يمكن لأي تطوير أن يؤتي أكله في مجال الكادر البشري دون تحفيز مادي ومعنوي، لابد من رؤيا جديدة ترى الإعلام مؤسسة للإبداع لا مؤسسة خدمية وموظفيها يسيرون أعمالاً روتينية، ثمة تجارب لا تعد ولا تحصى انتهت بتسرّب مبدعين أكفاء من وزارة الإعلام، أو «القناة» بأن يكونوا مثل الموظفين الآخرين، والضياع بين إدارات الوزارة، وهذا يؤكد أهمية الحافز وتجاوز اللوائح من أجل مكافأة المبدعين والنشيطين، بل وإعداد لوائح جديدة أكثر مرنة لتطوير العمل الإعلامي وإدخال عنصر المنافسة الإيجابية فيه.

• صالح العاقل: علينا أن لا ننسى أن للإعلام الرسمي الكويتي جانباً ثقافياً، يتمثل في مجلتي «العربي» و«الكون» إضافة إلى سلسلة طويلة من الكتب والمجلات الدورية الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. هذا الإعلام لعب دوراً هائلاً في تعزيز مكانة الكويت عربياً في أوساط المثقفين وال العامة على حد سواء، وجعلها أنموذجاً يطمحون إلى الحرية التي لا تتتوفر لكثيرين منهم في بلدانهم ونهراً يغترفون من معارفه. الأخت فوزية أنت روائية وقصاصية ومتابعة بدون شك لهذا الإعلام الثقافي، كيف تنظر إلى إلهه وإلى أثره؟

• فوزية شويس: الإعلام الثقافي في الكويت هو وجه الكويت الجميل بالفعل. وفي الحقيقة فقد توفرت له منذ البداية خبرات كبيرة وكفاءات متميزة، من رؤساء التحرير والمحررين الذين استقدمتهم الكويت وأجذلت لهم، مثل د. فؤاد زكريا، ود. أحمد زكي، والأستاذ أحمد بهاء الدين. هؤلاء وغيرهم هم من أسسوا هذا الإعلام ومنحه قوته ورؤاه واتجاهه، فعرض إلى القضايا التي تهم الجمهور العربي في كافة بلدانه، ووصل هذا الوجه

• صالح العاقل: دعونا ننتقل إلى الجزئية الأخيرة من المحور الرابع والمتصلة بأثر الإعلام في المتلقى. د. عايد لاشك - بصفتك مستشاراً لجمعية الصحافيين - لديك استبيانات واستطلاعات حول نسبة ثقة الجمهور الكويتي بإعلامه، فأرجو أن تعلم قراءنا بنتائجها. وإلى أي حد - خارج هذه الاستبيانات - تعتقد بمصداقية العلاقة بين وسائل الإعلام الكويتية والمتلقى من حيث تعبيرها عن مشاكله وتساؤلاته وقضاياها. وأيا كانت النتيجة (سلبية أو إيجابية) ما دور الإدارة والكادر البشري فيها لجهة سوية الإعداد والتطوير وما إلى ذلك؟

• د. عايد المناع: سأبدأ من النقطة الأخيرة، لأنه ليس



التلفزيون.. قسم الأخبار

لدينا آية استطلاعات أو استبيانات علمية حول موضوع الثقة أو عدمه في موضوع تطوير وإعداد الموارد البشرية - والمادية أيضاً - لدينا سوء إدارة مزمن، وأشد ما نحتاج إليه هو قيادة تحدد احتياجاتها من الاثنين وتدبرها على نحو سليم. وأكبر مثال على هذا الخلل هو حادثة سقوط صاروخ في سوق شرق ونقل الحدث في فضائية عربية - فضلاً عن الأجنبية - و«تلفزيون الكويت» يغطى في النوم. هناك نقص في عدد الأجهزة التقنية وسويتها وصيانتها ونقص في مستوى وجاهية العاملين، ومشكلة في الإدارة معاً. ثم عليك بعد أن تقوم بـ«تسعير» الشهادات وتعيين أصحابها أن تقوم بتطوير كفاءتهم دوريًا، فتعينهم هو بداية الطريق وليس آخره - كما هو الحال - ومن الضروري مراقبة ارتقاء أدائهم أو توقفه عند مستوى معين بعد دورات التطوير التي ينخرطون فيها.

كما أن تطوير العامل في كل مجال، وفي الإعلام على نحو خاص، يحتاج لما هو أكثر من الراتب، وهنا نتحدث عن التحفيز، الذي يدفع البشر ليكونوا متميزيين وذوي معنويات عالية، ويجب أن يشتمل على الشق المعنوي والشق المادي معاً.

تحدث د. سعد عن موضوع الاستيعاب بمرارة، وهو موضوع شائك فأنت توظف كماً هائلاً من الناس، ولكن عليك التفكير بمن يمكن الاستفادة منهم فعلاً، ويبقون معك لمدة طويلة، دون أن يتسرّبوا إلى وسائل إعلامية أخرى، وربما غير إعلامية. ورغم أنني مع تقوية



التلفزيون.. مهد الدراما الكويتية

الجمهور الكويتي خاصه والعربي عامه، وأدار الإعلام بفنية عاليه وروح مبادره، فشجع الفنانين والمبدعين في مختلف المجالات، عبر الحواجز والسماح، فكان يغدق من جهة ويقبل الرأي الآخر ويمتص اعتراف المعترضين بشكل أو باخر، دون أن يعيق ذلك العملية الإعلامية. ومنذ خروج الشیخ جابر العلي من وزارة الإعلام وإعلامنا يتربّح وفق خط بياني يرتفع حيناً مع رفع سقف الحرية في هذا الموضوع أو ذاك وينخفض أحياناً محكوماً بالخوف والتحفظ والتقوّع، وهذا كما نرى - ينعكس على المتلقى والرسالة الإعلامية معاً.

يفترض بمسؤولي الإعلام الرسمي أن يبحثوا عن المثقفين من خلال متابعتهم للفعل الثقافي - لا أن يتجمّبون - ويحرصوا على اجتذابهم لتقديم أفكارهم ورؤاهم وما يمكنهم تقديمها في وسائل الإعلام، والارتقاء باللغة الإعلامية فوق العامية السائدة والانتقال بها إلى العربية الفصحى.

• فايزة المانع: شكرأً جزيلاً لحضوركم ومشاركتكم في هذه الندوة التي نأمل أن يستفيد منها قراؤنا في «الهوية» كما يعتقد منها متخد القرار الإعلامي، خاصة في ظل حالة الجمود الحرج التي تخيم بظلّالها على إعلامنا، في الوقت الذي انفتحت فيه قضاءات المجتمعات والأفراد لضخ إعلامي هائل تحكمه رؤى ومصالح بعضها يتفق مع رؤانا ومصالحنا وهويتنا .. وكثير منها يتعارض معها ويؤثر في أجياننا.

المشرق - من خلال دعم المسؤولين وتحفيزهم - إلى كل بيت عربي.

كانت العربي «فضائية» العرب، والإصدارات الأخرى، مثل «الكويت» و«عالم الفكر» و«عالم المعرفة» و«المسرح العالمي» وغيرها تجذب القراء وتكرس الكويت كمنطقة للثقافة والمعرفة. فلماذا لا نفعل ذلك في مجال الإعلام المسموع والمرئي دون أن تهبه هذه الجهة أو تلك لمحاربة الخبرات المنشقة التي تستقدمها؟

اعتقد أن نجاح إعلامنا الثقافي المقصود يكمن في امتلاكه لفلسفة ومنهج واضحين، في حين أن فشل مثيله المسموع والمرئي يكمن في عدم امتلاكه لتلك الفلسفة والمنهج، ومنزوك للظروف والمتغيرات السياسية الطارئة. يجب أن يكون لدينا تخطيط منهجي وإعداد ثقافي للكوادر الإعلامية وغير الإعلامية، فالثقافة هي العمود الفقري لبناء أية مؤسسة.

• د. عايد المناع: فلسفة إعلامنا الرسمي، هي نفس فلسفة أي إعلام رسمي آخر، وتتمثل في تقديم «رسالة» محددة سلفاً مع برامج ترفيهية وأحياناً تثقيفية خفيفة مراقبة بدقة، لجمهور يتوقع منه هذا الإعلام أن يتقبل رسالته، وتعتبر الإدارة الإعلامية أن ذلك هو إنجاز جيد. ربما أكثر ما نحتاجه اليوم هو قيادة شجاعة، وهنا تحضرني ذكرى الشیخ جابر العلي - رحمه الله - عندما كان وزيراً للإرشاد والأنباء ثم وزيراً للإعلام، وهو قيادي شجاع ذو رؤية قامت على تقديم ما يفيد ويلبي رغبات



د. ميمونة الصباح لـ «الهوية»:

نظام الحكم في الكويت أبوياً ..

■ في الجزء الثاني من اللقاء الذي أجرته دكتورة ميمونة العذبي الصباح تتحدث الأكاديمية الكويتية عن ملامح من تاريخ حكم آل الصباح في الكويت، وما اتسم به هذا الحكم من عناصر مميزة، وما شهد من حوادث، وما عاصره من وقائع، ثم تعرج في ختام هذا الجزء للحديث عن دور سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح أثناء الأزمة المريرة التي شهدتها دولة الكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠ عندما غزاها النظام العراقي البائد.

حوار: عبدالله بدران



د. ميمونة الصباح

■ كما أن ملاحظات المؤرخ (واردن) في كتاباته عن الكويت - بالرغم من خطئها في تحديد تاريخ وصول العتب إلى الكويت - أوضحت أموراً مهمة حول تأسيس الكويت وطبيعة الحياة وتقسيم المسؤوليات فيها، فبينت بصورة واضحة أن شؤون الحكم كانت بيد (آل صباح) وشؤون التجارة آلت إلى (آل خليفة) في حين كانت أمور الحكم بيد (الجلahمة). وهذا التقسيم لأمور الحكم وإدارة البلد من جميع النواحي يمكن اعتقاده، لصدوره عن مسؤول بريطاني كبير في حكومة الهند التي كانت مهتمة بشؤون الخليج العربي ومتتبعة لأحداثه، وذلك من خلال اهتمامها بأمور شركة الهند الشرقية (البريطانية). وكانت تقاريرها بهذا الشأن تشكل وثائق يمكن الاعتماد عليها بصورة عامة في دراسة تاريخ المنطقة. فإذا اعتمدنا على هذا التقرير الذي تسانده المصادر المحلية والعربية والأجنبية في كون آل صباح هم الذين حكموا الكويت ولم يحكمها سواهم منذ استقرار العتب فيها ثم علمنا أن والد صباح الأول (جابر) قد توفى أثناء رحلتهم وبالتحديد في مدينة (الزيارة) فإننا نستطيع أن نؤكد تولي صباح الأول الحكم منذ وصول العتب إلى الكويت مادامت أسرته هي التي تولت شؤون الحكم.

■ ما أهم السمات واللامعات التي تميز بها نظام

■ ما زال هناك بعض الاختلاف بين المؤرخين حيال السنة أو المدة التي بدأ فيها حكم آل الصباح الكرام للكويت، فكيف تنظر إلى ذلك الأمر؟

- على الرغم من أن السنة التي تولى فيها صباح الأول حكم الكويت ما زالت مجھولة، فإننا نستطيع أن نقرر مطمئنين أن الشيخ صباح الأول هو أول من تولى الحكم في الكويت كما تجمع المصادر المحلية والعربية والأجنبية، وأن ذلك كان في تاريخ قريب من تاريخ وصول العتب إلى الكويت. وهذا ما يؤكد تسلسل الأحداث التاريخية، فمن الثابت أن طبيعة الحياة والنظام السائد في ذلك الحين تتطلب زعامة ل القوم في حلهم وترحالهم شأنها في ذلك شأن النظام المدني القائم في أي مكان في العالم. فلا يمكن لجماعة أن تستقر في مكان ما من دون زعيم أو شيخ أو حاكم لها يحتملون إليه في جميع أمورهم، وهذا ما دعا القوم إلى مبايعة الشيخ صباح الأول على السمع والطاعة كشيخ وحاكم لهم .. ولم تختلف المصادر حول هذا الأمر محلية وعربية وأجنبية، وأضاف الأستاذ المؤرخ سيف مرزوق الشملان سبباً لهذا الاختيار والمبايعة لصباح وهو أن والده كانت له الزعامة على قومه عندما كانوا في نجد.

ولا بد أن تكون قد توافرت لصباح الأول مقومات الزعامة التي دعت القوم إلى مبايعته حاكماً

**صباح الأول
تولى
مسؤولياته في
الحكم بطريقة
المبايعة التي
تماثل طريقة
الانتخاب في
عصرنا**



رکائزه التشاور والترابع والتلاطف

**قامت سياسة
الكويت - منذ
البدء - على
السلم والحياد ..
ومنذ ذلك الوقت
لم تدخل الكويت
حرباً إلا دفاعاً
عن نفسها**

**بكنجهام:
احتفظت الكويت
باستقلالها دوماً
حتى حين كان
جوارها خاضعاً
للاحتجاجات
الأجنبية ..
وأقامت علاقات
ودية مع الجميع**

هاماً في المنطقة رغم الصراعات الشديدة التي شهدتها، ويكمّن ذلك في أسلوب السياسة الخارجية الذي انتهجه، فهل يمكن تسلیط الضوء على أهم ملامح هذه السياسة الخارجية؟ - كان من أهم ما اتسمت به سياسة الكويت الخارجية منذ استقرار العتوب فيها وتأسيس حكمهم على أرضها، هو السلم الذي تشتق منه وجودها واستقرارها ونموها، وبالتالي فإنها حرصت على الالتزام به والمحافظة عليه، في الوقت ذاته الذي تمسكت فيه بالحياد وعدم التورط في العداء مع القوى والدول المجاورة، أو الانحياز إلى واحدة من تلك القوى المتصارعة في المنطقة لكي لا يجرها هذا الميل إلى الدخول في حرب لا تريدها، ولم تدخل الكويت حرباً إلا دفاعاً عن نفسها.

ولا شك في أن تقدير الكويت بهذه السياسة منذ تلك الفترة المبكرة من عمرها يعود إلى إدراك حكام الكويت منذ البداية أن الحياد هو الضمان الأفضل لاستمرار بقاء وجود دولة صغيرة. ومن هذا المنطلق وعبر تاريخها - انتهت الكويت الحماية البريطانية عليها - سياستها الخارجية على أساس نهج حيادي في الصراع مع القوى المحية بها.

وعرفت الكويت أن حيادها يضمن استقلالها السياسي بالمفهوم السائد في حينه، كما يحافظ هذا الحياد على كيانها الإقليمي بصورة دائمة، وبالرغم من أن الكويت سعت في البداية للحفاظ على التوازن في علاقتها مع الدول الكبرى، والمحيطة بها من دون أن تحصل من تلك الدول على نص مكتوب تتقيد فيه هذه الدول الأكبر بضمان استقلال الكويت السياسي والمحافظة على

الحكم الرشيد الذي شهدته دولة الكويت منذ تولي آل الصباح الكرام الحكم فيها؟ - لا شك في أن الحديث في هذا المجال يطول، لكن يمكن ذكر الملخص العامة التي تميز بها هذا الحكم الرشيد لنتبين طبيعة ذلك النظام ومدى ملاءمته لشعبه وظروف بلاده وما يحيط بها، حيث حقق لشعبه ما يصبو إليه من رفاهية ورخاء، وحفظ لبلاده استقلالها وحريتها، وسط ذلك الخضم المتصارع مع القوى الكبرى التي أحاطت بالكويت من كل جانب منذ تأسيسها، وهي نوضح قبول نظام الحكم لتلك التطورات التي حدثت، واستجابته لدواعي التقدم والنهوض على المدى الطويل، وقد اتضح هذا الأمر في فترات لاحقة مثل الفترة التي نعيشها في تاريخنا المعاصر.

فقد تميز نظام الحكم في الكويت بكلone نظاماً أبوياً، يعتمد على التشاور والترابع والتلاطف في جميع صوره، فلم تشهد الكويت منذ تأسيسها تعقيداً في أنظمة الحكم فيها. وذلك نتيجة للظروف السائدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث كانت البساطة هي الطابع المميز للنظام في الكويت، فإذا أخذنا في الاعتبار الحجم السكاني للكويت، والظروف التي تعيشها فإننا نستطيع القول إن نظام الحكم كان أقرب ما يكون إلى نظام الشورى في الإسلام.

وبصفة عامة فإن معاصرى تأسيس الكويت ومتبعى تاريخها الحديث يشيرون إلى أن نظام الحكم في الكويت يتصرف بالشورى، ويدللون على ذلك بأن أول حاكم حكم الكويت في بداية نشأتها (صباح الأول) كان قد تولى مسؤولياته في الحكم بطريقة المبايعة التي تمثل طريقة الانتخاب. ■ استطاع نظام الحكم في الكويت أن يؤدي دوراً



ديكسون

كيانها الإقليمي فإن هذه السياسة التي اتبعها حكام الكويت نجحت بالفعل في تأكيد استقلال الكويت.

أما بالنسبة إلى الاستقلال الذي حرصت عليه الكويت منذ عهدها المبكر فلا بد من التطرق في ذلك إلى إشارات الرحالة البريطاني (بنجهام) الذي زار المنطقة، إذ زار هذا الرحالة الكويت عام (١٨١٦) ولفت نظره أن الكويت في تلك الفترة المبكرة «قد احتفظت باستقلالها دوماً، حتى في الوقت الذي خضعت فيه هرمز ومسقط والبحرين والإحساء لحكم أجنبي، والقطيف والبصرة اللتان كانتا تخضعان للأتراك، خضعتا لحكم البرتغال من قبل».

كما كان من أولويات سياسة الكويت الخارجية، إقامة علاقات ودية مع مختلف القوى التي تجاورها، غير أنها أكدت من خلال معاجلتها للأحداث ومن خلال علاقاتها الوثيقة بجيرانها أن هذه الصداقة يجب أن لا تعني في حال من الأحوال الخضوع لحكم أجنبي. وتأكيداً لما ذهبنا إليه في هذا الشأن نجد الكويت وسط ذلك التيار المتصارع من القوى في المنطقة تمارس نوعاً من الاستقلال الذاتي على الرغم من محافظتها على ولائها لبني خالد وللدولة العثمانية المتمثلة بولاية البصرة.

وبذلك نجد أن سياسة الكويت اتسمت بالحكمة والتعقل في التعامل مع جميع القوى في المنطقة وفي الحفاظ على استقلالها وحرفيتها وحيادها وصداقتها للجميع، فعرفت كيف تبني علاقة طيبة مع جيرانها في الوقت الذي لا تسمح فيه لأي من هذه القوى بالاعتداء عليها. ولا شك في أن سياسة الكويت الحالية التي تقوم على العلاقات الطيبة مع الجميع، مع الاحتفاظ بالحياد والسلام وحفظ التوازن، والتي حافظت بواسطتها على





• **واقف
الكويتين كانت
رائعة خلال
الاحتلال ..
فشل المحتلون
في انتزاع
شرعية آل صباح
من قلوب
ونفوس أبناء
شعبنا**

• **الدعم اللا
محدود الذي
قدمه سمو أمير
البلاد لقضية
وطنه في
الخارج
وللمقاومة في
الداخل أعاد
الكويت إلى
أهلها آمنة.**

وكان هدف صدام حسين من احتلال الكويت هو ضمها وسرقة ثرواتها في داخل حدودها وفي دول العالم إضافة إلى جلوسه متحكماً بثلث نفط العالم، ولكي يفاجئ العالم ويجعله عاجزاً عن مواجهته أو الطعن في ادعائه فإنه سعى إلى انتزاع الشرعية من آل الصباح في بداية الأمر لكن مؤامرته باءت بالفشل وكانت إرادة الله له بالمرصاد.

ولقد استطاع سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح إدارة شؤون البلاد أثناء تلك الأزمة بحنكة عالية ومهارة متميزة انطلقت منذ وصول سموه إلى المملكة العربية السعودية للإقامة فيها، إذ عقد عقب وصوله اجتماعاً شمل معظم الوزراء كان البند الأول فيه العمل على تأمين سلامة الجميع «أي الشعب الكويتي».

وأدّار سمو الأمير من السعودية شؤون البلاد واتصل بالمنظمات الدولية والحكومات الصديقة والشقيقة وحصل على إدانات شاملة لما قام به قوات الغدر والخيانة كما تواتت القرارات الدولية والعربية والإسلامية بادانة العدوان والاحتلال ودعوة العراق إلى الانسحاب وعودة الشرعية.

وعمل سمو الأمير على تأمين جميع متطلبات الشعب الكويتي سواء الصامدين في أرض الوطن أو الذين كانوا خارج البلاد، وأسهم في دعم المقاومة الوطنية في الداخل، وتعزيز صمود المواطنين.

إن هذه الأمور جميعها أسهمت في تحقيق النصر وعودة الشرعية إلى البلاد وانجلاء الأزمة بعد أن كانت الكويت مهددة بالسقوط في هاوية نظام عانى شعبه من ويلاته سنوات طويلة.

استقلالها تعود إلى تلك الفترة المبكرة مع الاختلاف في تقبل تلك المفاهيم والعمل بها تبعاً لاختلاف الزمن والظروف المتغيرة.

■ على الرغم من هذه السمات المميزة في السياسة الخارجية لنظام الحكم في الكويت، فهل جعلها ذلك في منأى كلي عن العدوان عليها والطمع فيها؟

- إن ما تميزت به السياسة الخارجية للكويت والنمو السريع الذي شهدته البلاد في تلك الحقبة استرعى انتباه القوى الأخرى في الخليج العربي لا سيما أن الكويت اعتمدت اعتماداً كلياً على سياستها الخارجية في تعميم اقتصادها، وذلك نتيجة لقلة مواردها الطبيعية وبخاصة المياه، مما جعل ميادين الكسب المادي تحصر في التجارة وحركة النقل البحري والبرري مع الجهات الخارجية بصورة رئيسية. وتبعاً لذلك فقد اضطررت إلى الاحتكاك بالقوى المحاطة بها سلباً أو إيجاباً، فوقفت بعض القوى المجاورة موقف المعادة بعد أن عجزت عن منافسة موانئها التي أثر ازدهارها على موانئ تلك الدول تأثيراً عكسيأً، لذلك اتجهت إلى الانتقام منها ومحاجمتها كلما سُنحت لها الفرصة، في حين وقف البعض الآخر من القوى المحاطة بالكويت موقف اللامبالاة فلم يكن لها تأثير يذكر على نمو الكويت السياسي والاقتصادي، بل لعل الكويت استفادت مما أصاب تلك القوى واستغلت نقاط ضعف لصالحها.

■ يذكّرنا هذا الحديث بما جرى من اعتداء على الكويت في العصر الحديث تمثّل في غزو النظام العراقي البائد لها في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠، وتود هنا تسليط الضوء على الدور الذي أدّاه سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح أثناء تلك الأزمة وكيف استطاع قيادة دفة البلاد رائعاً بكل المقاييس لدرجة لم يتوقعها العدو ولا الصديق لهذا البلد الصغير على مساحة الأرض، الكبير على أسماع الدنيا.

بين تعميق اللغة الاتصالية

بالمتلقى... والرغبة بدور اجتماعي تغييري...

السينما والموروث الشعبي العربي

تعتبر الفنون إحدى أشكال التعبير الأكثر رقياً عن أوضاع المجتمع من جهة ووسيلة رفيعة من وسائل استشراف مستقبله وتغييره.. وإذ ينهل الفن من موروث المجتمع الذي ينشأ بين ظهرانيه، أو يتوطن فيه، فإنما يفعل ذلك لأنه يحتاج إلى تعميق لغته الاتصالية بالمتلقي من جهة، وتبيبة نفسه ليصبح معطى اجتماعياً تاريخياً، لا يمكن تجاهله كعنصر من عناصر الواقع. ولأن تعامل بعض الفنانين بنوع من السطحية مع الموروث الاجتماعي العربي - لأسباب شتى - فإن فن السينما، خاصة أثناء فترات نهوض الوعي العام بالذات والهوية قد أحسن توظيف الموروث الشعبي للأمة، وهذا ما تعالجه هذه المقالة.



عماد نويري

«العزيزية» استوعب عناصر المؤثر... و«عزيزة» اقترب من النمودج الغربي.

منذ بدايات السينما العربية، أدرك السينمائيون العرب أهمية استخدام المؤثر الشعبي في تقرب هذا الفن المستورد إلى أذهان الجمهور، ونزع الغربة عنه، كما وجدوا فيه مادة جذابة وجاهزة سواء من ناحية الشكل أو المضمون (الحكم الشعبية والأغاني والشخصيات وبخاصة النمطية منها: الفلاح، والصعيدي، والبحار، وغيرها). ومن الأفلام التي نجحت في توظيف التراث الشعبي (فيلم العزيمة) ١٩٣٩م، من إخراج (كمال سليم). فإلى جانب الأمانة في عرض الحارة وشخصياتها واستيعاب عناصر غير قليلة من المؤثر الشعبي، استطاع الفيلم مناقشة الهموم التي كانت تشغل بالمواطن المصري آنذاك. أما فيلم (عزيزة) ١٩٤٥م من إخراج حسين فوزي، فقد اعتمد على الحارة، والكثير من القيم الشعبية التي تحدد نوعية الصراع وأنماط شخصياته، وذلك إضافة إلى طريقة عرضه التي كانت في رأي الباحث (عبدالحميد حواس) أكثر التصاقاً بالتراث الشعبي، لكنه لجأ إلى تهجينها بعناصر من النمودج الغربي (المطارات والعرارك الجسدي والماخيخ الباريسية وغوانيتها) مما أفقد الفيلم مصادقيته.

وهناك مجموعة أخرى من الأفلام اتخذت من المؤثر الشعبي (الماوويل) موضوعها الأساسي بشكل مباشر مثل (حسن ونعيمة) ١٩٥٩م من إخراج هنري برکات (أدهم الشرقاوي) ١٩٦٤م من إخراج حسام الدين مصطفى (شفيقه ومتولي) ١٩٧٨م من إخراج علي بدرخان (المغنوطي) ١٩٨٣م من إخراج سيد عيسى.

وغير هذه أفلام صلاح أبو سيف (الفتوة) ويوسف شاهين (الأرض) وتوفيق صالح والطيب الصديقي والأخضر حامينا (وقائع سنوات الجمر) وميشيل خليفي (عرس الجليل) وناصر خمير (الهائمون) وأيضاً المخرج الكويتي (خالد الصديق).

كان يوم ٢٧ مارس عام ١٩٧١م هو يوم العرض الأول لفيلم (بس يا بحر) من إخراج (خالد الصديق)، وفي يوم ١٨ أبريل العام ذاته، عقدت ندوة في جمعية الفنانين الكويتيين لمناقشة الفيلم بحضور المخرج و(عبدالرحمن الصالح)، كاتب قصة الفيلم وأيضاً عدد من ممثلي باكورة الإنتاج السينمائي الروائي في الكويت... وتبينت الآراء وقبلها كانت قد تواترت ردود الفعل.

كتبت مجلة (آخر ساعة): (الفيلم يعتبر عملاً رائعاً، ليس باعتباره مجرد محاولة أولى للفيلم الكويتي، بل بالقياس إلى أي عمل سينمائي في بلد مارس العمل السينمائي).

وكما لاقى الفيلم الاستحسان تعرض أيضاً لحملة انتقادية شديدة، وأكّد المؤرخ الكويتي (سيف مرزوق الشملان) على أن الفيلم يسيئ للبحر، ويشوّه الحقائق وأنه ليس بالمحاولة الأولى عن الفوض واللؤلؤ إنما سبقته ثلاث محاولات أعواوم (١٩٥٥م - ١٩٦١م - ١٩٦٥م).

وكان رد فعل خالد الصديق هو أن أخذ الفيلم وطاف معه بلدان العالم، وكانت مفاجأة: (حاز الفيلم على مجموعة من الجوائز لم يكن أتوقعها ولم يحصل عليها فيلم من قبل).

وقد وصل عدد الجوائز إلى تسع من مهرجانات عربية وعالمية كان منها الجائزة الأولى لمهرجان دمشق ١٩٧٢م، وجائزة الشرف في مهرجان



بس يا بحر عزف على أوتار الذاكرة... و«عرس الزين» إنجاز مختلف.

الهند والسندي حتى يصلوا إلى الصين. ومن خلال النسيج التاريخي تمتد وتشابك خيوط قصة عاطفية بين أطراف تفصل بينهما أحداث وغمارات جسام.

إن ما يؤخذ على الأفلام المرتبطة بالتراث عموماً هي طريقة استخدامها لفراداته، ويتمثل فشل معظمها في عدم توظيف هذا التراث لتقديم ما يعين المشاهد على فهم حياته المعاصرة وحل مشاكلها. ومن ثم تفتقر إلى الربط الحيوي بين الأصالة والمعاصرة مما يجردها من قيمتها بل و يجعلها في أحياناً كثيرة أقرب إلى القيد التي تؤدي إلى الجمود. والأصالة في الأفلام لا تعني مجرد الارتباط بالماضي التراثي. لأن الماضي وحده إذا لم يكن معاصرًا هو جثة هامدة لا نفع فيها. وإذا نظرنا إلى تجربة السينما العربية في عمومها من خلال هذه النظرة نجد أن أهم أفلامها وأكثرها قيمة هي ما يتحقق فيها هذا المعنى. وهذا يجعلنا نشيد بالأعمال الضئيلة - ومنها أعمال خالد الصديق - تلك التي استطاعت أن تقدم حلولاً تمثل نماذج رائدة لتوظيف التراث والارتباط بال מורوث الشعبي. وهذه الأفلام في مجملها تكشف عن مظاهر التنوع في حياة الإنسان العربي داخل القطر الواحد بين بيئاته المختلفة الريفية، الحضرية، البدوية، كما تكشف عن قدر من التنوع بين الأقطار وبعضها.

وإن جاء ذلك بطريق غير مباشر: وهي - هذه الأفلام - وهذه السينما في كل الأحوال تقترب من التعبير عن هويتنا القومية. وهو مطلب ضمن مطالب كثيرة أخرى نتمنى أن تتحقق على يد السينمائيين في بلاد العرب.

قرطاج أسبانيا وغيرها وكان وراء نجاح الفيلم رؤية فنية وفكرية تعدد حدود تسجيل الواقع (كما هو) إلى تفتيت هذا الواقع وإعادة نسجه وصياغته لتقديم تعليق وعبرة، ورأي وتوثيق: توثيق العادات والتقاليد الأخذة في الاندثار وتأكيد التراث القومي. وكانت فكرة الفيلم تمد بجذورها في واقع المجتمع الكويتي القديم لتصور حياة البخارية وطقوس السفر ومعاناة العيش. وعزف الفيلم بمهارة على أوتار الذاكرة الجميلة ليقدم صورة تراثية حية في وجдан الشعب في إحدى مراحل تاريخه.

وفي عام ١٩٧٤ بدأ الصديق العمل في فيلمه الثاني (عرس الزين) عن قصة للأديب السوداني (الطيب صالح) ليقدم صورة ناجحة عن الحياة في السودان وليسجل بالصوت والصورة شريحة أخرى من التقاليد العربية وإنجازاً آخر في الموروث الشعبي من خلال قصة (الزين) الشاب الأسطورة، الذي ولد وهو يضحك، وعاش حياته نصف أبله، ونصف عبقرى. تحبه نساء القرية، ويكرهه شبابها. وقد أتاحت الفيلم: (أن اتبع أسلوبًا محباً إلى نفسي هو أسلوب خلق المشاهد الدرامية من خلال الفولكلور).

وفي عام ١٩٨١، ترك الصديق الكويت والسودان، وذهب هذه المرة إلى الهند وإيطاليا لينجز فيلمه الثالث «شاهين» عن إحدى روايات (الأدب الإيطالي).

(بوكاشيو): «أحداث الفيلم تدور في العصور الوسطى في جو تاريخي (أسطوري ويطل الفيلم هو شاهين) (الصقر) الذي يلعب دوراً هاماً أثناء رحلات القوافل العربية التي كانت تمر بمناطق

تأملات في الهوية الكويتية

د. عبدالله الجسمي

وهناك طقوس واحتفالات تمثل مناسبات كثيرة تختلف بشكل كبير في شتى بقاع العالم الإسلامي تبعاً للقومية أو العادات والتقاليد أو الموقع الجغرافي الذي تعيش فيه.

وعند تأملنا لواقعنا العربي، وهو أصغر بالتأكيد من العالم الإسلامي، سنجد بأن اللغة والاعتقاد لم ينجمحا في خلق هوية واحدة ثابتة ل مختلف فئات الشعب العربي. فبعيدة عن التقسيم الإقليمي الحالي، كانت هناك تقسيمات أكبر كبلاد الشام والمغرب العربي ومصر والسودان والخليج والجزيرة العربية. تميزت شعوب هذه المناطق بعادات وتقاليد مختلفة لعبت فيها طبيعة موقعها الجغرافي دوراً هاماً في تحديد هوية التجمعات التي قطنت في أقطار مختلفة من الوطن العربي بحيث نجد سيادة بعض القيم والمفاهيم التي شغلت ثقافات مختلفة لها تختلف عن بعضها البعض في العديد من مظاهر حياتها وطرق تفكيرها. ولا شك بأن هناك عوامل عدة لعبت دوراً هاماً في تحديد هوية التجمعات التي قطنت في أقطار مختلفة من الوطن العربي بحيث نجد سيادة بعض القيم والمفاهيم التي شملت ثقافات مختلفة لها تختلف عن بعضها البعض في العديد من مظاهر حياتها وطرق تفكيرها. ولا شك بأن هناك عوامل عدة لعبت دوراً هاماً في تحديد هوية العادات والتقاليد وطرق الحياة وإن جاز القول، هويات التجمعات العربية المختلفة فعلى سبيل المثال نجد

بأن الخليج والجزيرة العربية كانا أكثر تأثيراً واحتکاكاً مع شرق أفريقيا يا والهند وجنوب شرق آسيا حيث ارتبط بالتجارة والنقل البحري، أي كانت هناك روابط اقتصادية وثقافية مميزة في هذه المنطقة، بينما لو نظرنا إلى دول المغرب العربي نجد بأن تأثير أوروبا أو غيرها واضح عليها منذ مرحلة الاستعمار المباشر وغير المباشر التي أثرت على العديد من المظاهر الثقافية، وواقع الحال نفسه في مناطق أخرى من العالم العربي.

لكل مجتمع من المجتمعات هوية معينة تميزه عن غيره، فلو تأملنا واقعنا المعاصر

وتصفحنا العالم القديم نجد هناك عدداً من الشعوب قد تحدث لغة واحدة أو تنتمي إلى قومية واحدة ويدين عدد كبير من أفرادها بديانة معينة لكن نجد فئات منها والتي تعيش في بقاع متفرقة تحتفظ بخصوصية تميزها عن غيرها على الرغم من أنها قد تنتمي لنفس القومية أو قد تدين بنفس الديانة.

لو أمعنا النظر في تشكيل هوية الشعوب سنجد بأنها لا تعتمد على عامل أو معتقد واحد بل تتدخل عددة عوامل مجتمعة. تحدد من خلالها هوية أي شعب من الشعوب. فلو تأملنا واقع المجتمع الإسلامي الذي يمتد في بقاع مختلفة من العالم سنجد بأنه يحتوي على قوميات وأقليات ذات أعراق مختلفة تتحدث لغات عدة وتميز كل قومية أو أقلية بهويتها الثقافية الخاصة التي تميزها عن غيرها. فهناك تميز بين مسلمي الهند والباكستان عن أولئك الذين في المغرب العربي من حيث العدد من العادات والتقاليد التي نراها في الكثير من الممارسات اليومية أو الاحتفالات والمناسبات فلورأينا مثلاً طقوس الزواج سنجد أنها تختلف عند مسلمي الباكستان والهند عن مسلمي المغرب.

اللغة والمعتقد لم ينجحا في خلق هوية واحدة ثابتة ل مختلف فئات الشعب العربي .. فالاختلافات الجغرافية أفرزت عادات وتقاليد مختلفة





الشيخ عبد العزيز الرشيد

روح التجديد والإبداع كانت سمة هامة من سمات المجتمع الكويتي وثقافته .. وطبيعة البيئة فرضت التلامح والتكاتف

الاستقلالية والمشاركة وغياب التسلط قيم مميزة للهوية الكويتية

فمثلاً في الغوص أو التجارة يواجه الغني والفقير نفس المصير إذا وقعت مصيبة أو كارثة. وفرضت الروح الجماعية التلامح والتكاتف بين أفراد المجتمع الواحد خصوصاً أثناء المحن أو الأزمات، فقد شهدت الكويت حوادث تاريخية هامة كان الهدف منها النيل من كيان المجتمع بكل فكان لتوحد الكويتيين ودفعهم عن وطنهم الآخر الأكبر في الحفاظ على كيانهم رغم قلة عددهم وتواضع إمكاناتهم. فمثلاً نجد الأسوار التي حمّتهم من مخاطر الهجمات الخارجية والاستبسال في الدفاع عن الكويت ما هو إلا تجسيد لروح التكاتف والتوحد التي تعد واحدة من أبرز سمات الهوية الكويتية.

ومن جانب آخر فرضت طبيعة البيئة على الكويتيين روح المغامرة والسفر وركوب المخاطر وتجسد ذلك في مصدر الرزق الوحيد الذي كان أمامهم وهو البحر. فكان الغوص على اللؤلؤ وجوب البحار للسفر في سفن شراعية وصلت من شرق أفريقيا إلى الهند وجنوب شرق آسيا في ظروف وبحار مليئة بالتقديرات والمخاطر. لقد كان لذلك أثر كبير على تكوين الفرد وشخصيته وتعويذه على عدم الخوف والتغلب على الصعاب وغرس روح الاستكشاف والبراعة والخبرة في التعامل مع البحر وظواهره والإجاده والإبداع في العمل الذي يقوم به العديد من الأفراد بدءاً من التجارة وانتهاء بأدبي الأعمال اليدوية. وانعكس هذا الأمر على روح التطوير والتجديد والإبداع التي كانت سمة هامة في روح المجتمع الكويتي وثقافته فالتاريخ يشهد على سبق هذا المجتمع لأقرانه في المنطقة في الكثير من الأمور خصوصاً تلك المتعلقة ببناء المجتمع المدني ومؤسساته وكذلك في الجوانب المتعلقة بالفنون والأداب على مختلف مشاريبها.

وقد فرض التنقل والتجارة على الكويتيين الاحتياك مع الآخرين والافتتاح عليهم والتأثير بهم، فهناك بلا شك بصمات واضحة لتأثير الكويتيين خصوصاً بالجوانب المتعلقة بالفنون والعمارة من الحضارة الهندية وشرق أفريقيا. لكن هذا التأثير لم يكن سلبياً أي لم يقض على هوية المجتمع الكويتي وثقافته بل كانت روح الإبداع والتجدد التي أشرنا إليها جزءاً لا يتجزأ منها. فلو نظرنا إلى الفنون الموسيقية سنجد تأثيرات واضحة للإيقاعات والأدوات الموسيقية الهندية، إلا أن الموسيقى والغناء أخذنا طابعاً خليجياً ومحلياً. فمثلاً فن الصوت وإيقاعه فن خليجي ومحلياً. فمثلاً فن الصوت فيه وطور قوله الفنان عبدالله الفرج الذي عاش فترة طويلة من حياته في الهند، ومثال آخر وهو الفنون البحرية وإيقاعاتها ومدى ارتباطها بواقع ومتطلبات الحياة البحرية. يضاف إلى ذلك تمسك الكويتيين بعقيدتهم وتعاليمه وقيمهم على الرغم من كثرة السفر والترحال لمناطق عدة. فعل الرغم من كثرة الأديان والثقافات لم تتأثراً عقائدياً أو قيمياً على ثقافة المجتمع الكويتي وهويته (مثلاً نرى اليوم من تأثيرات عميقه) بل العكس فقد عمل الكويتيون (وغيرهم من أبناء الخليج والجزيرة) على نشر قيمهم وديانتهم في العديد من البلدان التي

إن ما نريد أن نشير إليه من هذه المقدمة هو أن العقيدة أو اللغة أو القومية ليست هي العوامل أو العامل الوحيد في تشكيل هويات الشعوب، فهي تلعب بدون شك دوراً أساسياً لكنها لا توحد الجميع في كل شيء، كما أن البيئة التي تعيش فيها التجمعات تلعب دوراً كبيراً في تشكيل هوية أي شعب من الشعوب فهي تفرض طريقة حياة معينة، أي نمطاً ثقافياً معيناً، نتيجة طبيعة الواقع وظروفه المعيشية وموارده. من هذا المنطلق نجد بأن الشعب الكويتي الذي يعد جزءاً لا يتجزأ من الشعب العربي تميز بخصائص معينة لعبت فيها البيئة دوراً هاماً وأساسياً ميزة في بعض الأمور عن غيره في المنطقة بما فيها بعض نظائره في منطقة الخليج والجزيرة العربية، على الرغم من الدور الهام الذي يلعبه الدين الإسلامي والانتماء العربي في تشكيل هويته.

التحدي والاستجابة

وضع أرنولد توينبي، أحد أبرز فلاسفة التاريخ، نظرية التحدي والاستجابة التي فسر من خلالها استجابة بعض الشعوب للتحديات، وأبرزها البيئة التي عاشوا فيها، هذه الاستجابة للظروف، خصوصاً القاسية، مكتنthem من صنع حالة من الاستقرار وبناء مجتمعات تميزت إما بالبساطة أو بالتعقيد. وإذا نظرنا للكويت سنجد بأن استقرار الجماعات الأولى التي هاجرت إليها منذ ثلاثة قرون تقريباً في منطقة تفتقر لأبسط موارد الحياة شكل تحدياً كبيراً لأفراد لم يملكون ما نملكه اليوم من أدوات تكنولوجية أو علمية أو حتى موارد طبيعية وكانت الاستجابة لهذا التحدي الكبير مثل حجمه، حيث استطاع الكويتيون الأوائل الذين واجهوا شطوط العيش وشح الموارد، بما فيها الماء، وقوسوا الطبيعة من تشكيل النواة الأولى للمجتمع الكويتي الذي كان يعتمد على البحر كمصدر وحيد للرزق سواء للصيد أو الغوص على اللؤلؤ أو التجارة. لقد فرض هذا النمط من الحياة أو الواقع القيام بمجموعة من الأنشطة وركوب المخاطر من أجل تأمين لقمة العيش وبناء مجتمع يقوم أفراده بتتأمين الكثير من مستلزماتهم بأنفسهم. لقد كان لهذا الواقع عميق الأثر على تشكيل جوانب هامة من هوية المجتمع الكويتي التي سار عليها ما بعد ظهور النفط وتصديره بقليل. ومن هذه الجوانب الروح الجماعية والتكاتف أثناء المحن، روح السفر والمغامرة وركوب المخاطر، الانفتاح على المجتمعات الأخرى والموازنة بين ثقافاتها والتمسك بالعقيدة الإسلامية، الاستقلالية والرغبة في التجديد والتطوير والتشاور وغيرها.

لقد كانت الروح الجماعية حجر الأساس في هوية المجتمع الكويتي القديم وثقافته، حيث كان المصير المشترك الذي يواجه أفراد المجتمع بارزاً في جميع مظاهر الحياة تقريباً. من شح الموارد الطبيعية ومواجهة الكوارث وحتى طبيعة النشاط الاقتصادي السائد والذي كان محفوفاً بالمخاطر وطبيعة الأسرة وحجمها وتوفير مستلزمات حياتها إلخ. كلها كانت تقوم على الجوانب الجماعية، فلا توجد فوارق تذكر في واقع الحياة ونمطه الاقتصادي بين الأفراد،

للروح الجماعية التي كانت تسود المجتمع الكويتي والتي كانت تقدم المصلحة العامة على المصالح الشخصية أو العائلية وغيرها.

إن ما سبق ذكره من عناصر يمثل الجوانب المحلية التي لعبت البيئة دوراً أساسياً في تشكيلها وميزت جانباً هاماً من هوية وثقافة الشعب الكويتي منذ نشأته وعلى امتداد قرنين ونصف تقريباً، حيث تغير العديد من هذه الجوانب تدريجياً منذ الخمسينيات بعد تصدير النفط بكميات تجارية والتحول إلى نظام اقتصادي آخر عزز الجوانب الفردية على حساب الجماعية. ويتبقى الحديث عن العنصرين الآخرين وهما الدين الإسلامي والانتماء العربي وكيف ساهموا في تشكيل هوية المجتمع الكويتي وثقافته.

«الدين العاملة»

من دون أدنى شك يعتبر الدين الإسلامي الركيزة الأساسية للهوية الكويتية، فهو الإعتقاد السائد في المجتمع الذي شكل الكثير من الممارسات اليومية العملية بعبارة أخرى لقد شكل طريقة حياة المجتمع الكويتي القديم وأبرز قوانينه وجبلت الشخصية الكويتية على القيم الإسلامية السمحاء وقدم الكويتيون، حالهم حال العديد من المجتمعات العربية آنذاك، فهماً حقيقياً للدين الإسلامي، قائماً على روح الدين وجوهره لا على الشكليات والمظاهر. والفهم الحقيقي للدين، فيرأيي ما أشار إليه الرسول ﷺ بأن «الدين المعاملة» والذي جسده الكويتيون بشكل عملي. فقد سادت روح المودة والتعاون والتراحم والتكافل بينهم، وفي الكثير من الأحيان والظروف الصعبة تذوب الفوارق الاجتماعية والعرقية ويقف الغني سندًا للفقير، مما من أزمة مرت على الكويت إلا وتعاضد أبناؤها جمِيعاً وتعاونوا على البر والتقوى والخير للوصول إلى بر الأمان. كما عرف الكويتيون قول الحق وعدم السكوت على الظلم أمام أي كان، وتسيّدت العفة والنزاهة والأمانة، والصدق والمصداقية في التعامل بين بعضهم البعض، وكذلك التسامح مع الآخرين فقد كانت في الكويت أقليات يهودية ومسيحية لم تتعرض يوماً ما للاضطهاد أو غيره. باختصار شديد لقد اهتم الكويتيون بجوهر الدين ومارسوا قيمه وتعاليمه في الحياة اليومية بشكل عملي وبندو الاهتمام بالشكليات والقوشور، ولعل من خالط كبار السن يدرك عن قرب عمق الإيمان في نفوسهم وكيف يشكل شخصيتهم التي تم عن إيمان حقيقي بالدين لا بالظاهر الشكلي للدين. ويعود السبب الذي يقف وراء ذلك فيرأيي، الواقع الحياة الذي كان يتصف بالعملي، فقد تمت الإشارة إلى أن شح الموارد وصعوبة البيئة جعلت الإنسان يسعى بشكل يومي ودؤوب لتتأمين لقمة عيشه بشكل عملي هذه الممارسة من دون شك تعمق شعور الإنسان بأهمية الفعل لتحقيق ما يريد وترجمة قيمه ومفاهيمه إلى أفعال أي خلقت الروح العملية مع انسجام بين ما يؤمن به الفرد وبين ممارسته مما انعكس على طريقة فهم الدين وتفسيرها في الواقع.

ومن جانب آخر كان الإيمان الديني يقوم على أسس



التكافل في مواجهة التحديات من عناصر الهوية الكويتية

زاروها فأقاموا مراكز دينية لتعليم أبناء هذه الدول لغة القرآن الكريم. وخلاصة القول عندما احتك الكويتيون بالآخرين قدّمـا خلقـوا نوعـاً من المـوازنـة بين ثقافـتهم وقيـمـهم والثقافـاتـ التي اـحتـكـواـ بهاـ فـهمـ لمـ يـرـضـوـهاـ كـكـلـ وـلـمـ يـجـعـلـوهـاـ بـدـيـلاـ لـقـيـمـهـمـ وـثـقـافـتـهمـ بلـ أـخـذـواـ مـنـهـاـ مـاـ يـنـاسـبـهـ وـأـصـبـغـوـاـ عـلـيـهـ أـسـلـوبـهـ وـثـقـافـتـهـ الـخـاصـةـ.

ومن بين الأمور الأخرى التي ميزت هوية الشعب الكويتي الاستقلالية وغياب التسلط. فمنذ قيام المجتمع الكويتي ككيان في بداية القرن الثامن عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر كانت طريقة إدارة شؤون البلاد تتم عن طريق المشاركة والمشاورة بين وجهاء البلد والتجار، وكانت الأمور تسير بشكل طبيعي من دون أي نوع من التسلط أو الانفراد بالحكم أو القرار فلم يكن هناك فارق يذكر بين الحاكم والمحكوم. وقد عادت هذه المشاركة والتشاور منذ عهد الشيخ أحمد الجابر بال مجالس التي شكلت عامي ١٩٢١ ، ١٩٣٨ و توجت على يد المرحوم الشيخ عبدالله السالم في الدستور الصادر عام ١٩٦٢ . لقد كان لطبيعة نظام الحكم هذا أن تميز الشعب والمجتمع بالاستقرار والمسالمة، فلم يقم الكويتيون بأي اعتداء على جيرانهم ولم تكن بينهم صراعات تذكر عندما أنشأوا كيانهم فكان ذلك ضمانه للاستقرار والمسالمة وتطور المجتمع والنجاح في التغلب على قسوة الظروف الطبيعية وشح الموارد. وقد نتج عن ذلك الاستقلالية في القول والتفكير ولم يكن هناك تسلط أو بطش يذكر فكلمة الحق تقال في أي مجلس وأمام أي كان، أي أن حرية القول والكلمة لم تكن وليدة الدستور الحالي بل جذورها راسخة في مجتمعنا منذ نشأته. وقد ساهم هذا الأمر في بناء حركة ثقافية فكرية تأثرت بشكل إيجابي بمحبيها العربي والإقبال على العلم والتعليم المؤسسي في بداية القرن العشرين. ولا يفوتنا أن نذكر هنا بأن الطريقة التي كان يدار بها الحكم وهي التشاور والمشاركة الشعبية تعد امتداداً

سبب احتكاك الكويتيين بالهند وشرق أفريقيا تأثروا بحضارة تلك البلدان .. دون نسیان تراثهم



الكويت.. شافية البر والبحر المتلازمة

وتركت الثقافة المستبررة التي لازمته منذ العقد الثاني من القرن العشرين أثرا عميقاً على مثقفي و المتعلمي الكويت والشارع الكويتي بشكل عام، وهذا بلا شك يجسد حقيقة لا جدال فيها وهي أن الكويت وشعبها جزء لا يتجزأ من الأمة العربية وقضياتها المصيرية ويبين أيضاً عمق التأثير العربي على ثقافة المجتمع الكويتي وهويته.

إن ما تم عرضه في هذا المقال عن العوامل التي شكلت هوية المجتمع الكويتي وثقافته تتطبق عليه منذ نشأته الأولى وحتى العقد السادس من القرن العشرين حيث أخذت التحولات الاقتصادية بعد تصدر النفط بإحداث تغيرات عميقة في واقع حياة المجتمع وبدأت معها التحولات في هويته وثقافته السائدة فقد اندثر تأثير دور البيئة على المجتمع ففابت الروح الجماعية وحل محلها الفردية وتلاشى معها العديد من القيم والعادات والتقاليد. ومع الانفتاح الكبير للمجتمع على الثقافات الأخرى منذ السبعينيات وحتى اليوم وتطور وسائل الاتصالات ونقل المعلومة مؤخراً كان لذلك أثر كبير على هوية المجتمع الكويتي فنکاد نرى تلاشى ثقافته التقليدية التي جاء بها من أنشأوا الكويت وانحصرارها في كبار السن والجيل الذي يلهم مباشرة فقط، وانتشار مظاهر من الثقافة الاستهلاكية وتقليد المظاهر الشكلية في الثقافة الغربية. يضاف إلى ذلك دخول العنصر القبلي بشكل كبير في التأثير على ثقافة المجتمع وهوبيته حيث امتد للعديد من الممارسات والعادات وحتى لطريقة الحياة السائدة فيه والتي انعكست بشكل سلبي على الواقع المجتمع المدني ولا بد في الختام من الإشارة إلى أن الغزو العراقي وما تبعه من مواقف لبعض الدول والشعوب العربية جاء بتأثيرات سلبية تجاه النظرة للعالم العربي، ولربما تكون لنا وقفة في مقالة أخرى لمناقشة التحولات التي حدثت في هوية المجتمع الكويتي وثقافته على صفحات مجلة «الهوية» في المستقبل القريب.

الكويت جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والشعب الكويتي شعب عربي ينتمي إلى الأمة العربية

عقلية لا على التعصب والانغلاق. فقد تكون لحياة البحر والتجارة والاحتياك مع الآخرين والفهم الجوهرى للدين دور للاحتكام للعقل ونبذ أي شكل من أشكال التعصب والجمود فلم تكن هناك مظاهر تذكر للتفرقة الطائفية وكانت لقمة العيش مقسمة بين الجميع مما شكل استقراراً كبيراً في المجتمع. وسادت النظرة العقلانية للدين بين الناس ومعظم شيوخ الدين الذين قاد بعضهم حركة التدوير والثقافة والاهتمام بالعقل والعلم ومنهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي والشيخ عبدالعزيز الرشيد حيث قاد الأول مسيرة التعليم والثانى مسيرة الصحافة والثقافة. من ذلك نجد بأن الفهم الجوهرى للدين لعب دوراً كبيراً في إذكاء روح المودة والاحترام وساهم في استقرار المجتمع وأصبح عنصراً أساسياً في تكوين هوية المجتمع الكويتي وثقافته حيث كان طريقة الحياة التي سار عليها الناس فنظم شؤونهم بالحق والعدل ولم يقحمهم يوماً ما في السياسة مثلما نرى اليوم في الواقع الذي نعيشه.

الانتماء العربي

يعد التأثير العربي العنصر الثالث والهام في هوية المجتمع الكويتي وثقافته. فالكويت جزء لا يتجزأ من المجتمع العربي والشعب الكويتي شعب عربي ينتمي إلى الأمة العربية ويستمد الكثير من القيم العربية الأصلية منها. فهناك الكثير من القيم والعادات العربية كالكرم والشهامة والشجاعة والتضحيه والإيثار والنبل وغيرها راسخة الجنور في المجتمع الكويتي والتي تحلى بها مؤسسوا هذا البلد وسار عليها من سار على هديهم. وهناك شواهد كثيرة تدل على الانتفاء العربي للشعب الكويتي بحيث لم تكن هناك مناسبة أو قضية أو أزمة يمر بها الشعب العربي إلا وكان للكويتيين دور في المؤازرة والعطاء السخي والموافق المبدية. وفي هذا السياق نشير إلى مثالين الأول يبين الموقف من الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٧ وكيف قاموا بجمع التبرعات وإرسالها للفلسطينيين على الرغم من ضنك العيش الذي كان يعاني منه الكثيرون، والثاني الموقف الداعم للشعب الجزائري أثناء مقاومته للاحتلال الفرنسي والتبرعات التي كانت ترسل له في الخمسينات. هذه المواقف وغيرها تدل من دون شك على الارتباط الوثيق ما بين الشعب الكويتي والأمة العربية.

ومن جانب آخر إذا ألقينا ضوءاً سرياً على تفاعل المجتمع الكويتي الفكري والثقافي مع المجتمع العربي سنجد سجدة هناك تأثيرات فكرية وثقافية واضحة على مسيرة تطوره. فمنذ نهايات القرن التاسع عشر تأثر عدد من المثقفين وشيوخ الدين بحركة الإصلاح الديني التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم وكانت الكويت محطة التقاء للعديد من المشايخ الدينية المستبررة والسلفية. وما أن جاءت حركة التحرر العربي وزال الاستعمار العثماني وسطع نجم القومية العربية وحركة التدوير الثقافية التي رافقتها تحول الشارع الكويتي إلى شارع قومي

التربية الوطنية .. ضرورة الوجود والملاهيّة (2)

غيرها. فبدلاً من أن تكون هناك قناة تلفزيونية واحدة محلية أو عربية أصبح بالإمكان مشاهدة العديد من القنوات الأجنبية، وكذلك الأمر بالنسبة للوصول إلى كل ما هو من نوع من خلال شبكة الإنترنت، سواء أكان ذلك ثقافياً أم سياسياً وحتى أخلاقياً، ومقابل ذلك نرى تراجع الاهتمام بالثقافات المحلية أو القطرية في الكويت والدول العربية بشكل عام نتيجة لتأثيرات زحف العولمة التي أخذت ملامح متغيراتها الثقافية بظلالها على الناشئة، وهذا الأمر يستدعي الإصرار على الثقافة المحلية والوطنية تحت وطأة هذا الزحف الثقافي الهائل الذي يأخذ بطريقه الأخضر واليابس، وعليه فقد أصبح موضوع تدريس التربية من أهم الموضوعات التي يجب تنطع على الناشئة».

الأستاذ عبد الرحمن العجمي أدى بدوره في هذا الموضوع،
بنوء إلى مدى أهمية «التربية الوطنية» وإنعكاساتها على
الناشئ الملتقي. يقول الأستاذ العجمي: «بني التربية الوطنية
في المناهج الدراسية الكويتية ضرورة ملحة وليس خياراً
 اختيارياً، فمفهوم المواطن والولاء لتراب الوطن لا ينمو
 عبطاناً، وإنما تبذل له الجهود المؤسسة التربوية والتعليمية
 حتى يصبح راسخاً ومؤسساً لا تهزه نوازع الشر الكامنة في
 النفوس البشرية. ولا تشکك في تحصينه إغراءات واستملاكات
 أعدة».

لغاء غير مبرر

مما سبق نلمس أن مادة «التربية الوطنية» لا يمكن التعامل معها بطريقة التعامل مع المواد الأخرى، فهي تتعلق بتشكيل مبادئ الإنسان التي تعتبر دعامة أساسية ينهض على أساسها الوطن، ويحافظ على استقلاله الثقافي والسياسي. ولن كان الوعي بمعنى أهمية هذه المادة موجوداً لما إذا أسقطت من المناهج التربية الكويتية، ولماذا أصلاً كانت مقتصرة على

حول هذا المحور يقول الدكتورة هيفاء السنعوسي: «يجب ألا تخضع مادة التربية الوطنية للأوضاع السياسية في الكويت أو ي بلد آخر مجاور، ولا يجب أن نحصرها في إطار فترة زمنية محددة، ولا بتغير سياسي طارئ، وإنما يجب أن ترسخ هذه المادة بقوه في منهجية التعليم في الكويت، ولا تغادرها بيدًا مهما كانت الأسباب. يؤسفني أن أقول إن بعض المسؤولين في وزارة التربية لا ينتبهون إلى خطورة الكثير من القضايا العام والخاص إلا إذا حدثت كارثة إنسانية أو زلزال سياسي. فكم من خطابات ومقترنات مهمة وجهت إليهم من مثقفين وأكاديميين وطنين أرادوا أن يعملوا بشكل تطوعي بلا مقابل مادي. ما الذي حدث؟ لاشيء». في بعض المسؤولين لدينا لا يستجيبون إلا إذا طرقت المحن السياسية والفكرية أبوابهم وأرغفهم على الخروج من مكاتبهم ليروا الصورة الحقيقة لما يحدث في الخارج. فرب ضارة نافعة، ولعل أزمة الظروف السياسية التي مرت بها الكويت أيقظت بعض المسؤولين، ولعل صيحات المواطنين المخلصين نبهتهم إلى قضايا مهمة تتعلق صنع عقلية ومشاعر الأجيال الكويتية».

وعن إلغاء مادة التربية الوطنية من المنهج في فترة سابقة يرى الدكتور عبدالله الجسمي أنها كانت بسبب تغييرات سياسية طرأت على المنطقة دفعت المسؤولين في تلك الفترة إلى حذف

تابع «الهوية» في غرستها هذه تحقيقها المعمق حول مقرر التربية الوطنية والذي كانت قد فتحته في الفرسة الماضية، فتحاول الوقوف على آراء عدد من الأكاديميين والتربويين والباحثين والمثقفين في طبيعة هذا المقرر وعناصر الهوية التي من المفترض أن يذكّرها ويوكّرسها في نفوس الأطفال والناشئة، والقيم والاتجاهات التي ينبغي أن تكون محوراً له.

كتبتنا في الفحصة السابقة حول ضرورة إحياء مقررات التربية الوطنية ومهدنا لبعض الآراء للدكتورة هيفاء السنعوسي والدكتور عبدالله الجسمي والتربوي عبد الرحمن العجمي، وتناولت اليوم عرض آرائهم وأراء عدد من المهتمين بهذا الموضوع. د. السنعوسي ترى أن التربية الوطنية هي منهجية مباشرة وضمنية، تعمل على غرس حب الوطن في قلوب الأجيال، وست建立起 بذرة الشعور بالولاء والانتماء في عقولهم، وتقول: «إنها نشاط فكري وذهني يربط الإنسان الكويتي بوطنه عبر منافذ اللغوية ووجودانية سلوكية، وستتحمل وزارة التربية مسؤولية انحراف هذه المنهجية (فيما لو حدث) لذا يجب أن تتجهد في إخراج مقرر مدروس بعناية، في إطار محبيب وجاذب، ليتحقق المطلوب.. ولا أبالغ إذ أقول: إن مصير الكويت السياسي قد يقوم على تأثير هذا المقرر في نفوس الأجيال من الكويتيين».

ووحددت الهدف الرئيس للمقرر بتخريج جنود فكر مشبعين بحب الكويت، يدافعون عنها وقت الرخاء والشدة، لذلك عادت إلى آلية إعداد المقرر فأكملت: «على واضعي هذا المقرر الابتعاد عن صياغته بأسلوب «المادة العادية»، التي يمنع عليها الطالب درجات أعلى كلما حفظها أكثر، فالموضوع ليس تحصيلاً دراسياً، بل توجهاً مدروساً لخلق جيل كويتي، لديه من الدوافع الوطنية الواعية ما يجعله يدافع

عن وطنه». الدكتور عبدالله الجسمي تناول موضوع التربية الوطنية من زاوية التأثر والتاثير، حيث قال: «أصبحت الحاجة لتدريس التربية الوطنية في المناهج التربوية الكويتية ماسة جداً، نتيجة للتطورات التكنولوجية في ميدان الاتصالات ونقل المعلومة، مثل الصخون اللاقطة والإنترنت وغيرها من منافذ إدخال مؤثرات ثقافية جديدة، خصوصاً للأجيال الجديدة التي أصبحت عرضة لهذه المؤثرات أكثر من

منصف حمزة

الأستاذ أحمد السقا





قضايا الكويت الوطنية... في الأنشطة المدرسية

هذه المادة من المسلسل التدريسي. ويعمل الدكتور على هذه النقطة قائلاً: «إسقاط مقرر «التربية الوطنية» كان غير مبرر، ولعله كان انفعالياً نتيجة لقراءة الوضع السياسي في تلك الفترة، والتي خلقت تيارات تصاريط آراؤها، ما استدعى نوحاً من التحفظ على أهمية وجود هذا التوجه في المؤسسة التعليمية».

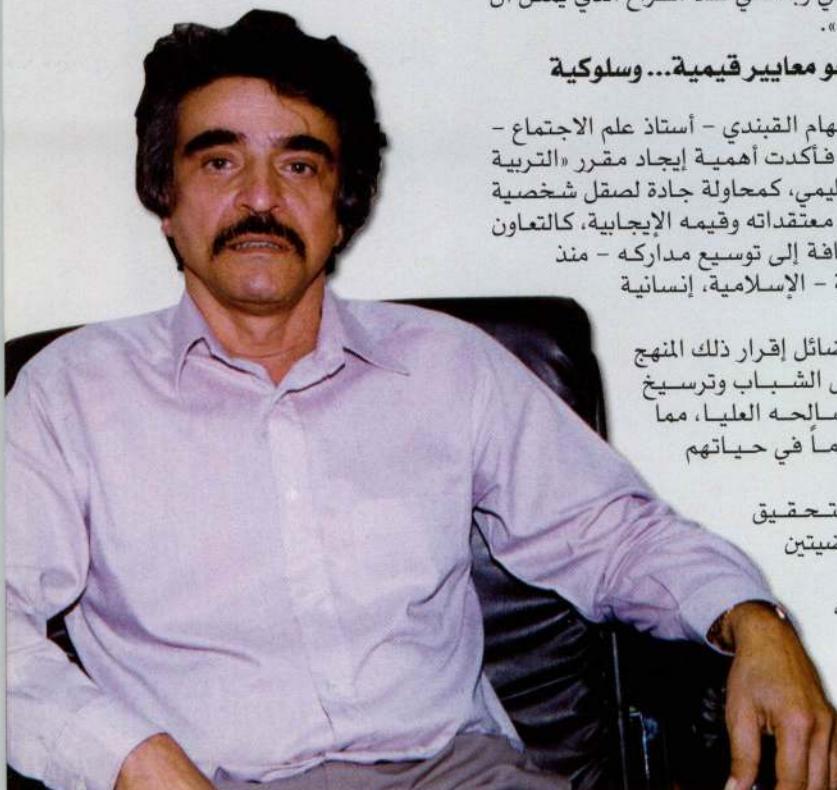
الآن التربية الوطنية لم تكن لها تلك الأهمية فيما مضى سهل على المسؤولين في تلك الفترة إلاؤها، خاصة وأنها لم تكن حاضرة إلا في المرحلة الثانوية؟ يقول الأستاذ عبدالرحمن العجمي : «التربية الوطنية كانت مقرراً دراسياً يُعطى لطلاب المرحلة الثانوية في عام واحد من أعوام الدراسة الأربع ولم يكن له أي تمهد في مرحلتي الابتدائية والمتوسط. وهنا تكمن زاوية التصور. فالحق أن مفهوم التربية الوطنية يتعدى فلسفة الوعي إلى ما هو أهـم، إنه التـشـيـةـ المـنهـجـيةـ، ولذلك كان منطقـاـ أن تـتـبـلـورـ مـادـةـ «ـالتـرـيـةـ الـوطـنـيـةـ»ـ مـنـذـ مـرـحـلـةـ رـيـاضـ الـأـطـفـالـ أيـ قـبـلـ أولـ مـرـاحـلـ الـتـعـلـيمـ الـعـامـ لـكيـ يـلـتـصـقـ فـيـ عـقـلـ وـوـجـدـانـ صـفـارـنـاـ الـحـبـ الـمـتـجـزـرـ لـلـوـطـنـ، أـلـيـسـ الـعـلـمـ فـيـ الصـغـرـ كـالـقـشـ فـيـ الـحـجـرـ؟ـ وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ إـنـ مـنـاهـاجـ رـيـاضـ الـتـرـيـةـ الـوطـنـيـةـ الـذـيـ كـانـ سـائـداـ فـيـ السـبـعينـاتـ دـهـمـتـ رـيـاضـ الـأـنـتـقـادـ وـعـدـمـ الرـضـاـ، فـهـوـ فـيـ نـظـرـ كـثـيرـ مـنـ ذـوـيـ الـخـبـرـةـ فـيـ الشـأنـ التـرـيـوـيـ حـشـوـ مـلـيـءـ بـالـإـنـشـاءـ غـابـتـ عـنـ صـيـاغـةـ الـأـيـادـيـ الـوطـنـيـةـ الـمـؤـهـلـةـ وـلـمـ يـرـاعـ خـلاـصـاتـ الـمـادـسـ الـفـكـرـيـ الـتـرـيـوـيـ الـعـالـمـيـ الـسـابـقـةـ لـنـاـ فـيـ هـذـاـ مـيدـانـ».ـ

الحافظ على الهوية .. في عالم متغير

الآن، وبعد هذه الفترة الزمنية الطويلة إلى حد ما، تبحث في الأروقة إعادة مادة «التربية الوطنية» إلى المناهج التربوية الكويتية. ولكن كيف سيكون شكل هذه المادة ومضمونها، وما هو الدافع وراء التفكير في إعادةتها أصلاً. على هذه الناحية تركز الدكتورة هيفاء قائلة: «يحتاج تدريس مادة التربية الوطنية إلى منهجية خاصة واضحة الملامح تعمل على تكوين الإنسان الكويتي بالاستناد إلى العوامل النفسية والوجدانية والفكيرية وربطها بالمؤثرات الخارجية وتحتاج إلى تفعيل بشكل جاذب بعيد كل البعد عن هوية منهجة وتدرис المواد الأخرى». أما فيما يتعلق بدافع التفكير بإعادتها للمنهاج الدراسي، وهل لهذا علاقة بالمتغيرات السياسية التي طرأت على المنطقة بشكل عام، وانعكاساتها على المجتمع الكويتي بشكل خاص، فيرى الدكتور عبدالله الجسمي إن الأمر يتعلق بتغيير المسؤولين لأهمية المادة، ويقول في هذا الخصوص: «لا أعتقد أن التفكير بإعادة منهاج التربية الوطنية مرتبط بشكل وثيق بالمتغيرات الإقليمية والمحليّة، خاصة بعد حدوث تجاذبات في المواقف العربية حول بعض القضايا، وإنما يعود السبب برأسه إلى إدراك المسؤولين إلى الحاجة الماسة إلى تعميم الروح الوطنية والحفاظ على الهوية الكويتية في ظل المتغيرات التي يعيشها العالم بأسره. أما من ناحية مضمون مادة التربية الوطنية فإنه يجب أن يركز على الشواهد الوطنية الأساسية وهي الولاء للكويت كوطن وليس لأفراد أو طوائف أو قبائل، أو غيرها من تقسيمات اجتماعية، والتمسك بدستور دولة الكويت الذي أقر في العام ١٩٦٢، والذي يشكل العقد الذي اتفق عليه الكويتيون حكامًا ومحكمين، وألحتفاظ على التراث الكويتي الأصيل، والتمسك بالقيم الكويتية النبيلة التي تميز بها جيل الآباء والأجداد، والتي تعطي وجهاً إنسانياً حقيقياً للكويت، ويجب أن تربى الروح الوطنية على تعزيز الوجه الحضاري والديمقراطي الذي تضمنه بنود الدستور المستندة إلى احترام حقوق الإنسان والحرفيات العامة والشخصية، مضافة إلى ذلك الانتماء العربي والإسلامي والهوية الكويتية. لأنها جزء من طبيعة المجتمع الكويتي وثقافته، كما يجب إبعاد أي نوع من أنواع التسييس من هذا المقرر، والتركيز على قيم وطنية وأخلاقية وإنسانية لا علاقة لها باية متغيرات سياسية».

أما الأستاذ عبدالرحمن العجمي فقد حدد ماهية مادة «التربية الوطنية» المطلوبة، وكيفية حضورها ضمن منهاج التربوي «ثمة اعتبارات يجب الأخذ بها عند الإعداد لمنهج التربية الوطنية».

الروائي اسماعيل فهد اسماعيل



د. القبndي: نحو معابر قيمية... وسلوكية

كما التفت «الهوية» د. سهام القبندى - أستاذ علم الاجتماع - الخدمة الاجتماعية - فاكتدت أهمية إيجاد مقرر «التربية الوطنية» في المناهج التعليمي، كمحاولة جادة لصقل شخصية الإنسان الكويتي وتبني معتقداته وقيمه الإيجابية، كالتعاون والعمل والإنتاجية إضافة إلى توسيع مداركه - منذ الصغر - بهويته العربية - الإسلامية، إنسانية، الطابع.

كما بينت د. القبندى فضائل إقرار ذلك المنهج من حيث زيادة حماس الشباب وترسيخ انتمائهم لوطنهم ومصالحه العليا، مما سينعكس إبداعاً وتقديماً في حياتهم وحياة مجتمعهم.

وقالت: «إن فكرة هذا التحقيق تدفعني للحديث حول قضيتين رئيسيتين: أولاً: التنشئة الاجتماعية،

واضحة وانتماء وطني.

وتحول دور المقرر في بناء شخصية متزنة مسكونة بالانتفاء للوطن، أضافت د. القيندي: إن الإنسان كائن اجتماعي، ينتمي دائمًا إلى جماعة أو أكثر ملتمساً التجانس والتقدير.

- وبفقد الشعور بالانتفاء - لأي سبب كان - فإنه يحس بالضياع. ودوائر الانتفاء الإنساني متعددة ومتابعة ومتقطعة في آن معاً من الأسرة إلى المنطقة إلى الطبقة الاجتماعية إلى الوطن إلى الأمة إلى الإنسانية. ولأن الانتفاء هو سلوك مادي لشعور الفرد بأنه جزء من «الجماعة» التي يعيش فيها، وهي جزء منه كذلك، فإنه يقدم مصلحتها العليا على مصلحته،



د. سهام القيندي

والشهادة في سبيل الوطن من أبلغ الأدلة على ذلك. إذن، فاقرار منهاج التربية الوطنية، يمكن أن يشكل أحد المداخل لمواجهة أزمة الانتفاء، التي تتجلى بعض مظاهرها في اللامبالاة والسطحية وعدم الاتكتراث بما يجري في المجتمع، والإهمام عن المشاركة في المناسبات الوطنية، وعدم احترام النظم والقوانين الاجتماعية والتسبيب في العمل والولاء لحركات هدامة، أو اللهاث وراء كل جديد وتقليله».

ودعت د. سهام إلى اتباع آلية جديدة تجعل من مقرر التربية نموذجاً يحتذى بالنسبة للمقررات الأخرى، ليس لجهة تضمينه معلومات كافية تسهم في تكوين كم معرفي عن الموضوع المراد تكوين اتجاه لدى متدلي حسب، بل لجهة الاهتمام بأساليب النقاش الجماعي (تعزيزاً لأسلوب العمل الجماعي) وتحسين العلاقات الإنسانية داخل الفصوص الدراسية أيضاً، من خلال استهلاض وجдан التلاميذ والطلبة وعواطفهم.

كما دعت إلى ضرورة اختيار مدرسين أكفاء ومتخصصين - عامة - ولقرار التربية الوطنية خاصة «سيما وأن المدرس دوراً لا ينكر في تشكيل الحياة الانفعالية للتلاميذ والطلبة، قدوة يبحثون فيها عن مثلمهم واتجاهاتهم».

وب قبل أن تختتم أكدت ضرورة «تقديم الحقائق الموضوعية في المقرر، دون تحيز أو تطرف، وإفساح المجال للتلاميذ والطلبة للنقاش حولها، دون ضغط أو تمييز».

وبيّرت د. سهام بالقول: «لم يعد أسلوب العوز والإرشاد يجدي نفعاً، ولا بد من اعتماد أسس التحليل التربوي للمواقف، إذا كنا نريد فعلاً بناء شخصيات طلبتنا وأبنائنا بناء متزناً، وأية «قيمة» يراد غرسها في أذهانهم يجب أن تطرح للنقاش بحرية، ووقف قواعد التفكير العلمي السليم، هكذا يفهم الأبناء تلك القيمة، ويقبلونها بسهولة».

المتوقّع... لتجاوز انكماس الهوية وتداعيها

ومن جانبها أكدت التربية المخضرمة شريفة المتوقّع أهمية إحياء مقرر التربية الوطنية في المنهاج التعليمي، واستذكرت المقرر القديم بحب، وكيف كان يتغنى بالوطن والوطنية والقومية العربية، وتمنت على وزارة التربية أن يعاد تدريسه بأطر جديدة ومفاهيم تربوية مختلفة.

وعن هذه الأطر والمفاهيم قالت: «ليس بالضرورة أن يقتصر بث التربية الوطنية في الأطفال والناشئين على مقرر (كتاب)، بل لا بد أن يتم تضمين هذه التربية كهدف لكل مادة من مواد المناهج التعليمي. فاللغة العربية يجب أن تضم قصائد ونصوصاً تعزز التربية الوطنية والقومية. ولو كنا فعلنا ذلك قبل ما كان تلاميذنا وطلبتنا يدمرون أثاث المدرسة ووسائلها التعليمية، يمكن تعزيز الشعور الوطني والقومي حتى عبر مسائل الرياضيات».

وعن التحولات التي حدثت خلال السنوات الأخيرة وهزت هوية المجتمع والفرد قالت: «قبلًا كانت لنا قضية قومية، الآن بعد الغزو، والضعف الذي اعتري الجسد العربي انكمشت الهوية في قضية الوطن الصغير، ولا بد من إعادة الاعتبار

خاصة وأن للمدرسة دوراً كبيراً في غرس القيم الاجتماعية والمبادئ الإنسانية، دوراً مكملاً لما تقوم به الأسرة في بناء شخصية الفرد، إضافةً لعوامل أخرى، وإذا كانت الطفولة هي مرحلة التأسيس، فإن مرحلة الشباب من أهم فترات الحياة وأكثرها خصباً وامكانية للاستجابة الجدلية مع المتغيرات السريعة والمتلاحقة التي يمر بها وطننا والعالم، وفي هاتين المرحلتين يكون الفرد أكثر قدرة على التفكير والتخيل، ومن هنا تأتي أهمية تزويده بالمعلومات التي ستكون محور شخصيته، وتشري لديه المعرفة والقدرة على تمثل القيم الإيجابية التي تميز وجوده الإنساني».

ثانياً: لاشك أن إقرار منهاج «التربية

الوطنية» سيكون له دور كبير في تكوين اتجاهات ومعتقدات الأفراد، ونحن هنا نتحدث عن خلق القيم (إيجاباً أو سلباً) وبالتالي السلوك الإيجابي أو السلبي تجاه قيمة معينة أو موضوع معين، نتحدث عن خلق الروح المعنوية للإنسان، عن هويته، وانت茂ه، وأمنه. كما نتحدث عن معايير ثقافية يتعرف إليها الطالب على نحو منهجي، سيكون لها تأثيرات إيجابية، هي نتاج تفاعل الشخصية مع تلك المعايير والعوامل الثقافية.

وتحول طبيعة المقرر وموضوعاته وقيمة إقراره قالـت د.

القينـدي: «إن إعداداً مدروساً منهاج التربية الوطنية سوف يساعد في بناء توجهات أبنائـاً ويعزـز الفهم المشترك وتنظيم حـياة المجتمع، أفعالـاً وردودـاً، تجـاه الآخـرين، مما سيـشـيع توافقـاً اجتماعـياً معـ الحياةـ».

والعكس بالعكس، فإن ترك الفرد وحيداً في مواجهة متغيرات عـصرـنا وظـروفـها - وـونـحنـ نـشـهدـ أمـواـجاًـ متـلاـطـمةـ منـ المـتعـارـضـاتـ الـفـكـرـيـةـ وـالـقـيمـيـةـ - فـانـ ذـهـنـهـ قدـ يـشـتـتـ، خـاصـةـ فيـ المـراـحلـ الـأـوـلـىـ منـ الـحـيـاةـ، وـهـكـذـاـ تـبـدوـ إـحـدـىـ فـوـائـدـ المـقـرـرـ فيـ صـيـاغـةـ قـاعـدةـ قـيمـيـةـ صـالـحةـ لـتـكـوـينـ مـسـارـ فـكـرـيـ وـسـلـوكـيـ مـتـوـافـقـ».



دور المنظمات الاجتماعية في التربية الوطنية للأبناء

ورفضـتـ دـ.ـ سـهـامـ أنـ يـكـونـ المـقـرـرـ - أوـ فـكـرـتهاـ عـنـهـ - مـقـصـرـاًـ علىـ إـحـيـاءـ مـورـوثـاتـ الـقـدـيمـةـ،ـ والـانـقـطـاعـ عنـ الـعـصـرـ،ـ وـرـدـتـ لـابـدـ أنـ يـسـاـهمـ المـنـهـجـ فيـ تـكـوـينـ صـورـةـ وـاـضـحـةـ عنـ عـالـمـ الـعـولـةـ وـالـثـورـةـ الـمـعـلـوـمـاتـيـةـ أـيـضاـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ يـدـفـعـنـاـ إـلـىـ التـخـطـيـطـ لـأـبـنـائـنـاـ فيـ ضـوءـ مـعـاـيـرـ هـوـيـةـ الـكـوـيـتـيـةـ دونـ أـنـ نـرـفـضـ التـغـيـيرـ وـالـتـقـدـمـ،ـ أـوـ نـقـفـ مـوـقـفـ الـمـتـغـرـجـ.ـ إـنـيـ أـعـتـقـدـ أـنـ نـجـاحـ مـقـرـرـ التـرـبـيـةـ الـوطـنـيـةـ فيـ ذـاـهـنـهـ وـنـتـائـجـهـ،ـ رـهـنـ بـقـدـرـتـهـ عـلـىـ خـلـقـ

ـمـعـاـيـرـ وـمـعـقـدـاتـ تـنـمـاشـ مـعـ مـعـاـيـرـ بـيـئـتـاـ الـاجـتمـاعـيـةـ مـنـ جـانـبـ وـمـعـاـيـرـ التـحـديـ وـالـعـولـةـ مـنـ جـانـبـ آـخـرـ فيـ ظـلـ هـوـيـةـ

الوطنية». ولخص الأستاذ السقاف جوهر المقرر المنشئ إضافته إلى المنهاج التعليمي بـ«العروبة» كون هوية الإنسان الكويتي هوية عربية، بصفته جزءاً من هذه الأمة، والكويت جزء من جزيرة العرب والوطن العربي.

أما حول موضوعات المقرر فقال: ينبع أن ترکز على حب الوطن واحترامه وحب الوالدين كجزء لا يتجزأ من التربية الوطنية القوية، ومعرفة واتباع النظام والقانون. وهنا لابد من اشتمال المقرر على بعض - أو جميع - مواد الدستور الذي يعتمد عليه استقرار البلاد وأمنها وتقدمها.

وعندما سأله عما إذا كان يعتقد أن الشباب الكويتي يعاني من أزمة انتماء، كمبيئ لإقرار منهج التربية الوطنية في المؤسسات التعليمية قال السقاف: «لا أعتقد بوجود أزمة انتماء، وهذا لا يقلل من أهمية إدراج التربية الوطنية في العملية التعليمية. لما له من دور في ترسیخ مفاهيم ودوائر الانتفاء وربطها ببعضها البعض، إذ لا يكفي أن أقول: أنا كويتي... وكفى. على أبنائنا أن يدركوا أنهم عرب كويتيون».

كما نبه الأستاذ السقاف إلى ضرورة العناية والاهتمام بهذا المقرر أسوة بالقرارات المهمة الأخرى، ورصد درجات له كالرياضيات والفيزياء والكيمياء، لا معاملته كمادة الرسم التي لا يتم التعامل معها باحترام وجدية، مع كل أسف فلا يعبأ التلميذ والطالب بها.

وأردف قائلاً: «لابد أن يتمتع مدرسو هذا المقرر بالوعي العميق لأهميته وفهم مغزايه، فلا يكفي شرط تخصص شخص في الفيزياء مثلًا لتدرس الفيزياء، بمعنى: على المدرس أن يكون متخصصًا وعاشقًا للمادة التي يدرسها، حتى يستطيع أن يفيد طلابه».

وختم الأستاذ السقاف بالقيم التي ينبغي أن تكون محور المقرر، وهي الصدق والأمانة والإخلاص والجد والمثابرة في العمل،



لهويتنا لتعزيز الشعور الوطني ربطاً بالقومية العربية، سواء من خلال مقرر التربية الوطنية الذي اعتبر وجوده مهمًا، ومن خلال المقررات الدراسية الأخرى، وهذا موجود في معظم مقررات بلدان الخليج العربي».

وعن مضمون المقرر واتجاهاته وأليات تدريسه التي تتيح ترجمة تلقينه إلى سلوك

قالت: «لابد أن يحتوي المنهج قواعد سلوكية، تطبق في المجتمع الصغير (المدرسة) مثل نشاط أجمل فصل في المدرسة، ومسابقات لأكثر الطلاب بذلا للجهد، ومحافظة على النظافة وجمال المدرسة، كما لابد أن تلاحظ ضرورة إشاعة العلاقات الإنسانية الرفيعة

بين الطلبة من جهة والعملاء الأجنبية الموجودة من جهة أخرى، وفي هذا السياق تضمن احترام العمل قيمة عليا في المقرر».

ورأت السيدة شريفة المعتوق أن يتم تدريج القيم في المقرر حسب المرحلة التعليمية، ففي المرحلة الابتدائية يتم تعريف التلاميذ بأدباء وطنهم (نصوصاً وصوراً) وبالشهداء كذلك، وبث قيم الدفاع عن الوطن في نفوسهم وعقولهم... ثم يعمق التعاطي ويُوسع فيما يتعلق بتلك القيم في المراحل اللاحقة، وذلك لتطويع جهل طلبتنا في المراحل الدراسية العليا بقضايا وطنهم ومعالمه ورموزه، ومن ذلك مثلاً عدم معرفتهم بمؤلف التنشيد الوطني، مؤكدة قصور المواد الدراسية في هذا الجانب، ومتساءلة عن دور الإذاعة المدرسية.

وخفت التربوية المعتوق مشاركتها بعدد من النقاط حول مقرر التربية الوطنية هي:

١ - دور الأسرة - رغم أهميته - غير كاف في التوعية الوطنية ولا بد من دور مكمل للمدرسة في هذا الجانب.

٢ - العولمة لا تعني إلغاء التربية الوطنية والقومية، بل ربما للتغلب على آثارها السلبية يجب العناية بهذه التربية، وإيلاؤها اهتماماً خاصاً ضمن العملية التعليمية، لخلق مواطن متنمٍ لأرضه وعروبته، ومن ثم الإنسانية قاطبة، فمن يجب وطنه يصدق وانتفاء هو القادر على أن يجب في العالم ما يجب أن يجب.

٣ - يجب أن يتضمن المقرر - في جميع المراحل الدراسية، وحسب كل عمر - قيمًا محددة أهمها: حب الوطن والعروبة والتعرّيف بهما، تعميق العلاقات الأسرية والاجتماعية، حقوق الإنسان وواجباته ضمن منظومة الأهداف الدينية والاجتماعية والسياسية، والتعرّيف بالدولة الديمقراطية (أنواع الحكم...) وتطور الإطار حسب المرحلة العمرية، للتعرّيف، بالدستور؛ وبتاريخ الوطن، بحيث إن الطالب عندما يكبر يكون ملماً بقضايا هويته وبلده.

٤ - صورة المرأة في المقرر مهمة جداً، لأنها تحدد فيما بعد من ضمن محددات أخرى موقف الإنسان من المرأة وقضائها، ولا بد أن يشتمل على مواقف وإبداعات نساء كويتيات بذلن من أجل وطنهن في الماضي والحاضر. ونحن لدينا المرأة الأم والمرأة الشاعرة والمرأة الطيبة والأكاديمية... ثم لدينا المرأة المقاومة والشهيدة.

٥ - لإعداد مقرر التربية الوطنية يجب تشكيل لجنة تضم متخصصين وغير متخصصين ممن لديهم خبرة حياتية، بمعنى أن تكون اللجنة غير عادية حتى وإن اضطررت الوزارة إلى تجاوز اللوائح.

السقاف: العروبة... جوهر هويتنا

وتوضيحاً لدائرة هذا التحقيق، التقت «الهوية» الشاعر والتربوي والإعلامي الأستاذ أحمد السقاف، فأكّد أن لا بلد تخلي مناهجه من مثل هذا المقرر، سواء كان عربياً أو أجنبياً، منها إلى ضرورة الاختيار الدقيق والأمثل للمجموعة التي ستعدّ هذا المقرر، أو تشرف على وضعه، فمن الخطأ جمع أربعة أو خمسة أشخاص وتركهم يكتبون ما يشاؤون. وال الصحيح أن تشكل لجنة من شخصيات تربوية واعية، تدرك ماهية «التربية



من هنا يبدأ تأسيس الوعي الوطني والإنساني

قيم متراقبطة مع قيمة الانتفاء، وهو الأمر الذي نجده في البلدان المتقدمة «خذ السويد مثلاً، هناك يدرسون الطلاب دستور بلدتهم وتاريخه وموضوعات متصلة بقيم المجتمع وضرورات تقدمه».

د. الكندري: صورة متوازنة لعلاقتنا بـ«الآخر»

والتقت «الهوية» د. يعقوب يوسف الكندري، رئيس قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بالوكالة - جامعة الكويت - كلية العلوم الاجتماعية، فأثنى على فكرة إعادة مقرر التربية

نفوس أبنائنا أن علاقتنا بالآخر تقوم على الاحترام المتبادل، فلكل معتقداته ومناهجه وطرق حياته، ونحاول بقدر الامكان أن نتفاهم ونتحاور ونتصالح في مختلف القضايا، وبالطبع فإن احترام ثقافة الآخر لا يمنعنا من نشر تعاليم ديننا السمحاء وثقافتنا العربية الأصيلة للأخرين».

وأعاد إلى مفهوم اعتبره أساسياً في المقرر المفترض هو مفهوم العمل وقيمه، ملاحظاً أن المجتمع المحلي قد جن إلى الاستهلاك وقيمته، متبايناً أهمية الإنتاج في البقاء والتقدم، وذلك لقصور في قيم التربية التي لم تغرس في النفوس منذ الصغر.

وختـم د. الكـندرـي مـشارـكتـه بالـاعـرـاب عـنـ تـفـاؤـلـهـ بـالـدورـ الذـيـ سـيـلـعـبـهـ مـقرـرـ التـرـيـةـ الوـطـنـيـةـ فـيـ إـعـادـ جـيلـ منـتـمـ وـسـلـيـمـ.

الفهد: إعادة تحديد جوهر المواطنة والمسؤولية

الروائي اسماعيل فهد اسماعيل بدأ ببيان ضرورة مقرر التربية الوطنية كإطار للضوابط والأسس - في العملية التعليمية - التي تحدد حقوق وواجبات المواطن تجاه وطنه، فتعلم النشء هذه القضايا أساساً جداً، خاصة في هذا العصر الذي نعيش فيه ويشهد تغيرات كبيرة وتقاطعاً وتدخلاً في المفاهيم.

وقال: «هناك العديد من القيم أصبحت غير واضحة الحدود لدى المواطن العادي، مما يحتم ضرورة إعادة النظر والصياغة بما يتاسب والمهام والمسؤوليات المنتظر إلقاؤها على عاتق النشء الذين هم رجال المستقبل، ليفهموا دورهم كمواطنين، وما الذي يعنيه الوطن فعلاً».

وأكـدـ الفـهـدـ أـنـ الـمـسـأـلـةـ لـيـسـ إـلـىـ إـلـقـاءـ الـمـسـؤـلـيـاتـ عـلـىـ عـاـنـقـ حـكـوـمـةـ مـاـ أوـ سـلـطـةـ أوـ نـظـامـ إـذـ يـفـتـرـضـ بـالـشـعـبـ أـنـ يـصـنـعـ نـظـامـهـ وـحـكـوـمـتـهـ وـيـكـوـنـ مـسـؤـلـاـ عـنـهـ وـعـنـ تـوجـهـاتـهـ وـرـفـدـهـاـ بـالـعـانـصـرـ الـقـادـرـ عـلـىـ التـصـدـيـ لـلـمـسـؤـلـيـاتـ،ـ وـهـذـاـ لـاـ يـتـمـ بـغـيـابـ منـهـ عـصـرـيـ وـاضـعـ وـمـتـطـورـ وـمـرـنـ لـمـفـاهـيمـ مـحدـدةـ،ـ وـفـيـ إـطـارـ عـلـمـيـ تـعـلـيمـيـ مـسـتـمـرـةـ وـحـيـوـيـةـ».

ولـئـنـ كـانـ الفـهـدـ قدـ نـفـيـ الـحـاجـةـ إـلـىـ «ـمـبـرـرـ»ـ لـوـجـودـ مـثـلـ هـذـاـ الـمـقـرـرـ إـلـاـ أـشـارـ إـلـىـ التـغـيـرـاتـ السـرـعـةـ وـالـمـتـلـاحـقـةـ الـتـيـ شـهـدـتـهاـ الـمـنـطـقـةـ خـلـالـ الـعـقـودـ الـأـخـيـرـةـ وـخـلـقـتـ نـوـعـاـ مـنـ الـنـكـوصـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـقـضـاـيـاـ الـمـتـعـلـقـةـ بـالـوـطـنـ وـالـهـوـيـةـ،ـ فـتـضـخـمـتـ الـأـنـتـمـاءـاتـ الـضـيـقـةـ كـالـقـبـلـيـةـ وـالـعـائـلـيـةـ وـالـطـائـفـيـةـ وـالـحـزـبـيـةـ عـلـىـ حـسـابـ الـأـنـتـمـاءـ الـو~طنـيـ وـهـذـهـ قـضـيـةـ تـسـتـحـقـ الـدـرـاسـةـ وـالـبـحـثـ عـلـىـ نـحـوـ عـلـمـيـ وـعـصـرـيـ».

كـماـ أـلـحـ إـلـىـ التـغـيـرـ الـذـيـ طـرـأـ عـلـىـ مـفـهـومـ الـقـومـيـةـ «ـفـتـحنـ نـيـشـ عـصـرـ الـقـرـيـةـ الـكـوـنـيـةـ بـمـاـ يـعـنـيـهـ مـنـ تـأـثـيرـ وـتـأـثـيرـ،ـ وـنـشـوـعـ عـنـاصـرـ الـاتـصـالـ وـالـانـقـطـاعـ بـيـنـ الـمـوـاـطـنـ وـنـظـامـ حـكـمـهـ،ـ لـجـهـةـ الـمـسـؤـلـيـاتـ».

واعتـبـرـ الفـهـدـ أـنـ ثـمـةـ أـزـمـةـ اـنـتـمـاءـ لـيـسـ عـلـىـ صـعـيدـ الـكـوـيـتـ فـقـطـ،ـ بـلـ عـلـىـ صـعـيدـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ كـلـهـ،ـ فـيـ مـاـ يـعـلـقـ بـتـحـدـيدـ الـهـوـيـةـ،ـ وـخـاصـةـ بـعـدـ الـحـرـوبـ الـثـلـاثـةـ الـأـخـيـرـةـ الـتـيـ فـتـحـتـ الـأـبـوـابـ لـلـتـسـاؤـلـ عـنـ جـوـهـرـ وـمـحـدـدـاتـ الـهـوـيـةـ الـعـرـبـيـةـ...ـ هـلـ هـيـ بـالـعـنـيـ الـقـرـوـمـيـ؟ـ هـلـ هـيـ بـالـعـنـيـ الـجـفـرـافـيـ؟ـ هـلـ هـيـ بـالـعـنـيـ الـقـطـرـيـ؟ـ أـمـ هـيـ بـالـعـنـيـ الـإـسـلـامـيـ؟ـ!ـ وـلـاـ تـنسـىـ أـنـ لـلـأـنـظـمـةـ دـورـاـ فـيـ حـرـفـ اـتجـاهـ الـهـوـيـةـ أـوـ تـقوـيمـهاـ،ـ كـذـلـكـ الـمـتـقـفـونـ وـالـفـنـانـونـ...ـ».

وحوـلـ الـعـانـصـرـ الرـئـيـسـةـ الـتـيـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـكـونـ وـاضـحـةـ فـيـ مـقـرـرـ التـرـيـةـ الـو~طنـيـ المـزـمعـ الـدـيـدـ فـيـ تـدـرـيـسـهـ لـلـطـلـبـةـ قـالـ الروـاـيـيـ اسمـاعـيلـ فـهـدـ اسمـاعـيلـ:ـ «ـإـنـ اـيـضـاـ فـكـرـةـ الـمـو~ط~ن~ةـ أـمـرـ مـهـمـ جـداـ،ـ أـيـ ماـ الـذـيـ يـعـنـيـ الـم~و~ا~ط~ن~،ـ أ~و~ أ~ن~ ي~ك~و~ن~ ال~م~ر~ء~ م~و~ا~ط~ن~ا~.~ ث~م~ ي~ت~ب~ع~ ذ~ك~ر~ ب~ي~ان~ ح~ق~و~ه~ و~و~اج~ب~ات~ه~ ت~ج~اه~ و~ط~ن~ه~ الصـفـرـ (ـقـطـرـ)ـ وـوـطـنـهـ الـكـبـيرـ (ـالـو~ط~ن~ ال~ع~ر~ب~)ـ،ـ لـأـنـ هـنـاكـ تقـاطـعاـ كـبـيرـاـ بـيـنـ الـاـنـتـمـاءـيـنـ الـقـطـرـيـ وـالـقـومـيـ»ـ.

وأـضـافـ:ـ «ـلـاـبـدـ أـيـضـاـ أـنـ يـحـتـويـ الـمـقـرـرـ قـرـاءـةـ وـاعـيـةـ وـعـلـمـيـةـ لـتـجـربـتـاـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ فـيـ ضـوءـ فـكـرـةـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ»ـ.

وـعـنـ الـقـيمـ وـالـأـفـكارـ الـسـلـبـيـةـ الـتـيـ تـشـيـعـ بـيـنـ النـاشـئـةـ وـالـشـابـ

وـالـتـيـ مـنـ الـمـؤـمـلـ أـنـ يـعـالـجـهـ الـمـقـرـرـ وـيـقـوـمـهـ قـالـ:ـ «ـهـنـاكـ

الـوطـنـيـةـ إـلـىـ الـمـنـاهـجـ الـعـلـيـمـيـ،ـ وـاعـتـبـرـهـاـ فـكـرـةـ رـائـدةـ،ـ لـهـذـاـ الـمـقـرـرـ مـنـ أـهـمـيـةـ غـرـسـ قـيمـ الـأـنـتـمـاءـ الـو~طن~يـ وـالـتـكـافـلـ الـاجـتـمـاعـيـ فـيـ نـفـوسـ الـطـلـبـةـ»ـ.

وـقـالـ:ـ «ـمـنـ الـمـعـرـوفـ أـنـ الـمـدارـسـ الـتـرـيـوـبـيـةـ تـحـاـوـلـ وـضـعـ بـعـضـ الـمـقـرـرـاتـ لـتـرـسـيـخـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـقـيمـ وـالـمـفـاهـيمـ وـالـمـعـايـرـ الـأـسـاسـيـةـ الـتـيـ يـنـشـأـ مـنـ خـلـالـهـ الـطـفـلـ،ـ وـلـاشـكـ أـنـ جـودـ هـذـهـ الـقـيمـ الـمـثـلـيـ مـثـلـ رـوحـ الـأـنـتـمـاءـ،ـ وـالـمـو~اط~ن~ة~ و~الـلـو~اء~ ض~ر~و~ر~ي~ ج~د~ا~ لـأـبـنـائـنـاـ لـيـنـشـؤـواـ مـحـافـظـيـنـ عـلـيـهـاـ»ـ.

وـأـكـدـ دـ.ـ الـكـنـدـريـ أـنـ إـدـرـاجـ الـمـقـرـرـ فـيـ الـعـلـمـيـةـ الـتـعـلـيمـيـةـ هـوـ الـأـمـرـ الـطـبـيعـيـ،ـ فـبـلـدانـ الـعـالـمـ الـمـتـقدمـ تـرـكـ عـلـىـ مـقـرـرـاتـ

مـمـاثـلـةـ لـتـعـزـيزـ وـحـدـتـهـ الـو~ط~ن~ي~ فـيـ نـفـوسـ أـبـنـائـهـ،ـ كـالـلـو~ا~ل~ي~ا~ت~

الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ الـتـيـ تـرـكـ عـلـىـ الـتـارـيـخـ الـأـمـرـيـكـيـ،ـ وـمـنـ

الـمـجـدـيـ أـنـ نـحـذـنـوـ حـذـنـوـ هـذـهـ الـبـلـدانـ الـمـتـقـدـمـةـ فـيـ اـسـتـخـالـمـ

الـمـفـاهـيمـ الـأـسـاسـيـةـ لـبـرـامـجـاـنـاـ الـتـرـيـوـبـيـةـ وـالـتـعـلـيمـيـةـ»ـ.

وـعـمـاـ إـذـاـ كـانـ إـدـرـاجـ مـقـرـرـ التـرـيـةـ الـو~ط~ن~ي~ يـتـافـيـ وـالـعـولـةـ الـتـيـ يـنـادـيـ مـفـكـرـهـاـ بـضـرـورـةـ صـيـاغـةـ «ـمـو~اط~ن~ ع~ال~ي~»ـ فـيـ «ـقـرـيـةـ كـوـنـيـةـ»ـ،ـ قـالـ:ـ عـلـىـ عـكـسـ تـامـاـ،ـ لـأـنـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ أـنـ يـحـفـظـ عـلـىـ هـويـتـهـ مـهـمـاـ كـانـتـ

دـرـجـةـ اـنـدـمـاجـهـ فـيـ الـمـجـمـعـاتـ الـأـخـرـيـ،ـ فـلـلـعـولـةـ

شـقـانـ،ـ سـلـبـيـ وـإـيجـابـيـ،ـ وـأـلـأـوـلـ مـنـهـمـاـ يـحـاـوـلـ

الـقـضـاءـ عـلـىـ الـثـقـافـاتـ الـفـرـعـيـةـ،ـ وـهـذـهـ مـسـأـلةـ إـشـكـالـيـةـ كـبـيرـةـ،ـ خـاصـةـ فـيـ

إـقـاهـنـاـ الـعـرـبـيـ،ـ إـلـيـسـلـامـيـ،ـ وـأـنـاـ أـرـىـ ضـرـورـةـ الـحـفـاظـ

عـلـىـ هـويـتـاـ وـثـقـافـتـاـ الـمـلـحـيـةـ الـمـسـتـمـدةـ مـنـ شـرـيعـتـنـاـ إـسـلامـيـةـ

وـلـمـ يـرـدـ دـ.ـ الـكـنـدـريـ إـعـادـةـ مـقـرـرـ التـرـيـةـ الـو~ط~ن~ي~ إـلـىـ الـحـيـاةـ رـدـاـ عـلـىـ قـصـورـ

مـفـتـرـضـ فـيـ دـورـ الـأـسـرـةـ وـمـؤـسـسـاتـ الـمـجـمـعـ الـأـهـلـيـةـ

وـالـرـسـمـيـةـ فـيـ تـرـسـيـخـ اـنـتـمـاءـ الـفـرـدـ،ـ مـعـتـرـراـ أـنـ لـلـمـدـرـسـةـ

دـورـاـ مـكـمـلـاـ لـلـأـدـوـارـ الـأـخـرـيـ،ـ إـنـ كـانـ لـلـتـعـلـيمـ

دـورـ مـرـكـزـيـ فـيـ هـذـهـ الـقـضـاـيـاـ،ـ كـمـاـ لـمـ يـرـأـ

الـمـجـمـعـ الـكـوـيـتـيـ،ـ وـالـشـابـ

مـنـهـ خـاصـةـ،ـ بـعـانـيـ أـزـمـةـ اـنـتـمـاءـ،ـ مـسـتـشـهـدـاـ بـالـتـكـافـفـ

وـالـوـحدـةـ الـذـيـنـ شـهـدـهـمـاـ الـكـوـيـتـ الـأـنـثـاءـ الـعـدـوـانـ

الـعـرـاقـيـ تـحـتـ قـيـادـةـ وـاحـدـةـ،ـ وـعـنـ الـعـانـصـرـ الـتـرـيـةـ الـو~ط~ن~ي~

الـفـردـ فـيـ الـمـقـرـرـ،ـ قـالـ:ـ «ـهـيـ مـفـاهـيمـ الـقـلـعـةـ الـإـسـلامـيـةـ

وـالـعـرـبـيـةـ،ـ وـمـنـ خـلـالـهـ تـأـتـيـ الـمـفـاهـيمـ الـفـرـعـيـةـ الـأـخـرـيـ الـمـتـصلـةـ،ـ

كـالـلـو~اء~ و~ط~اع~ة~ و~ل~ا~ه~ ال~أ~م~ر~،~ و~ال~أ~ن~ت~م~اء~ و~ال~ت~ع~ا~ض~د~ و~ال~ت~م~اس~ك~ الـأـجـتمـاعـيـ»ـ.

أـمـاـ الـقـيمـ وـالـأـتـجـاهـاتـ الـأـسـاسـيـةـ فـهـنـاكـ قـيـمةـ الـعـمـلـ وـاحـتـرـامـهـ،ـ

الـعـلـاقـاتـ الـإـنـسـانـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ...ـ»ـ.

وـاعـتـبـرـ دـ.ـ الـكـنـدـريـ أـنـ الـقـضـيـةـ الـأـسـاسـيـةـ لـهـذـهـ الـمـقـرـرـ هيـ رـبـطـ

الـجـيلـ الـحـالـيـ بـالـجـيلـ السـابـقـ مـنـ خـلـالـ إـقـامـةـ تـوـاـصـلـ فـكـرـيـ

بـيـنـهـمـاـ،ـ خـاصـةـ وـأـنـ جـيلـ آبـائـهـ هـوـ جـيلـ مـثـالـيـ عـرـفـ قـيـماـ رـائـعةـ

وـحـثـ عـلـيـهـاـ،ـ وـأـضـافـ:ـ «ـيـنـبـغـيـ أـنـ يـعـطـيـ هـذـهـ الـمـقـرـرـ فـرـصـةـ

لـلـمـورـوثـ الـشـعـبـيـ وـقـيمـهـ الـنـبـلـيـةـ،ـ وـمـنـهـ اـحـتـرـامـ الـعـمـلـ فـيـ مـقـابـلـ

الـأـسـتـهـلـاـكـ الـذـيـ نـشـهـدـهـ الـيـوـمـ»ـ.

وـاقـتـرـدـ دـ.ـ يـعقوـبـ مـعـالـجـةـ مـوـضـوـعـ الـعـلـاقـةـ بـ«ـالـأـخـرـ»ـ فـيـ الـمـقـرـرـ

مـعـالـجـةـ عـلـمـيـةـ تـوـسـعـ لـنـظـرـةـ مـتوـازـنـةـ وـقـالـ:ـ «ـلـابـدـ أـنـ نـرـسـخـ فـيـ



التربية الوطنية .. كما يراها جامعيون

- عيسى سمير عيسى الخضير: هذا التحقيق مناسبة للتساؤل عن سبب إلغاء هذا المقرر من المناهج التعليمي أصلاً، واعتقد أن مقرراً كهذا سيكون له فضل في تنمية الروح الوطنية وإذكاء حب الوطن في نفوس مواطنه.
- يحيى حسين طاهر: إقرار منهج التربية الوطنية أمر إيجابي لارتباطه بكيفية غرس مفهوم الوحدة الوطنية في نفوس الطلبة، ودوره في تعزيز الهوية وحب الوطن. ويجب أن يشجع هذا المنهج على الانتماء للهوية دون الانعزاز عن العالم.
- سلمان أحمد الصباح: إن دور مقرر التربية الوطنية هو غرس قيم ومعايير للمواطنة، مما يوسع دائرة الانتماء نحو الوطن الكبير ويشعر المواطن بالغزة والافتخار، فيكون مع وطنه في السراء والضراء. ولابد للمقرر الجديد من تجاوز بعض الأمور من ناحية السياسة الإقليمية، وإيصال العمق التاريخي لعلاقتنا بالشعب العراقي.
- الشقحة راشد: التربية الوطنية تعزز انتماء المواطن لبلده، وتتنمي فيه روح الفخر والاعتزاز، خاصة حين نذكر شهدائنا الذين قضوا دفاعاً عن الكويت. كما تعزز تماسك الأسرة الواحدة من خلال ارتباط أبنائها ببعضهم بعضاً وقت المحن، وتساعدهم على التقرب إلى الله من خلال كثرة الصلاة والدعاء. ولابد من استمرار تدريس مفهوم التربية الوطنية للتعرف الأبناء بما قدمته الأجيال السابقة والشجعان الذين ضحوا في سبيل الوطن .. ولكن لابد من توضيح أن سبب العداون هو طاغية فرد، وليس شعباً بكماله.
- عهود حمود فرج: هناك تأثير كبير لمقرر التربية الوطنية، فهو يعرّف الطالب ب الهوية الوطنية وانتمائه لهذه الأرض، كما يعرفه على عادات وقيم مجتمعه وحقوقه وواجباته فيه. وهو يعزز الروح الوطنية في قلب الفرد وعقله، و يجعله يحترم كل ذلك.
- إن شعور الطالب بحبه لوطنه واحترامه له سيعزز لديه أيضاً الاحترام للأوطان الأخرى وشعوبها، فلا ينتهي أية هوية وطنية أخرى، لأنّه سيكون قد أدرك أهمية الهوية له ولغيره .. وأنا مع إعادة إحياء هذا المقرر لما له من أهمية وأهداف عميقه.
- طيبة مبارك الحالد: يستفيد الطالب من منهج التربية الوطنية استفادة كبيرة، إذ يتعرف على العادات والتقاليد في دولة الكويت، وطبيعة الحياة التي كان يعيشها الآباء والأجداد مثل الغوص. إضافة إلى العادات والتقاليد في الدول العربية الأخرى .. وفيما يتعلق بالغزو لابد من إيصاله يوضح كل الفرد هو الذي أقدم عليه .. والشعب العراقي ليس له دور فيه.
- فاطمة الغانم: تعتبر التربية الوطنية مقرراً ضرورياً للطلبة في مختلف المستويات التعليمية، لأنها تزود الطالب بمعلومات تخص وطنه كالعادات والتقاليد، والعلاقات مع الدول الأخرى .. كما أن الطالب عندما يتعرف إلى تاريخ وطنه ويدرك الروابط التي ترسخ انتماءه و هوبيته سيكون مواطناً قادراً على تحمل المسؤولية في المستقبل.
- أخيراً لابد أن يلحظ المقرر التغيرات والأحداث التي طرأت في الأعوام الأخيرة.
- نهى الم sham: مثل هذا المقرر يعزز وطنية الطالب، ويعرفنا بماضي الكويت ونهايتها وأثر اكتشاف النفط على المجتمع وبتأثير الغزو العراقي.
- إسراء عبدالحسين: باعتقادي يجب أن يكون منهج التربية الوطنية متطرفاً، لأنّه يتناول قضيّاً تؤثّر بشكل كبير على الشعب الكويتي وعلاقته بالشعوب الأخرى، وبما لم يكن للمنهج السابق أثر في تنمية الروح الوطنية عند الطلبة لأنّه كان يعتمد على التقليدين والحفظ، وهذا ما يجب أن يؤخذ بالاعتبار بالنسبة لأنّية تدريس المقرر الجديد. واقتصر توضيح العلاقات الأخوية التاريخية التي كانت تربط الشعوب العربي والكويتي وما أصابها من خلل نتيجة ممارسات الحكم البغي في العراق، كما يجب ذكر المساعدات التي قدمتها الكويت للعراق والدول العربية الأخرى.

تصور خاطئ شائع مفاده أن الوطن هو البقرة الحلوة التي تعطي الكل وتوظف الكل وتمتنح البيت للكل... إلخ. هذا التصور لا بد من انتزاعه من أذهان الناشئة، وغرس تصور بديل جديد عن الوطن لديهم، تصور يساوي الوطن بالانتماء والهوية والوجود الفردي والجماعي بالمعنى المادي... الوطن يوضح أن الوطن ليس جواز سفر، أو وثيقة جنسية - الإوطن هو أن يكون الإنسان جزءاً من هذا الكيان ومسؤولاً عن مآلاته... عن كونه جميلاً وديمقراطيًّا وقدراً على لعب دور إقليمي وعربي وإنساني».

وتوقع الفهد أن يركز المقرر على احترام كل ما له علاقة بالعمل والتاريخ والوجود والتراث والدور السياسي والإنساني والسلام الداخلي والوحدة الوطنية، وعدم نفي الآخر، وقبول التعددية وفق مبدأ الاختلاف اللاتاحري «من يخالفني الرأي هو مواطن مثلّي، لا يجوز لي أن ألفيه أو ألغّي دوره، والحوار هو السبيل لبناء الوطن».

كما تمنى أن يتم عرض موضوعات المقرر بموضوعية علمية، خاصة التاريخية منها، بعيداً عن التضخيم والتلليس والادعاءات، حتى يمكن تأسيس نظرة متزنة نحو الوطن ككيان وهوية، وكوجود تارخي مستمر منذ الماضي وفي الحاضر وامتداداً إلى المستقبل.

وتتابع: «من ناحية أخرى لابد من التركيز على موقع الوطن وحضوره القومي، بصرف النظر عن الأنظمة وما رتب بعضها من عداوات، واستشراف مستقبل أكثر إشراقاً، مبني على التآخي والعمل المشترك والتعاون».

وعن طبيعة المقرر قال: «ليس الموضوع أن يحتوي مقرر التربية الوطنية الجديد موضوعات محددة في التاريخ والجغرافيا وغيرها، فمثل هذه المواد مستقلة، لكن الموضوع هو تحديد المفاهيم كالموقف من التاريخ مثلًا. كما لابد من تدريس الدستور والعنایة بالتراثية الديمقراطانية لأبنائنا من الصغار، ليكونوا مدركين لمسؤولياتهم كمواطنين ناضجين أو قياديين».

واقتصر الفهد على المسؤولين في وزارة التربية - خطوة أولى لإعداد المقرر - الإطلاع على المقررات المأكولة في البلدان المتقدمة ودراساتها لاستخلاص الفلسفه الكامنة خلفها وأخذ ما يناسبنا منها، كتجارب لأمم وشعوب سبقتنا وأثبتت مقدرها على تربية أجيالها تربية وضفتها في منه فلسفة المقرر هو الدستور الكويتي وتجربتنا الديمقراطية.

إضافة إلى الاستعانة بالأكاديميين وأصحاب الخبرة من التربويين لابد من طرح الأمر للنقاش العام من أجل بلورة المفردات التي ستشكل منهج التربية الوطنية.

و حول الموقف من التراث الواجب إبرازه في المقرر قال: «على معدّي المنهج أن يعنوا بما هو مضيء، ومشرق في تراثنا العربي على نحو يجعل من الإنسان العربي الكويتي مواطناً كويتياً أولاً و عربياً ثانياً و عالمياً ثالثاً، ففي التراث غث وسمين، وفيه ما هو واضح وما يمكن تأويله، فلابد منأخذ الإيجابي منه، وفتح الأفاق أمام الناشئة للبحث والاطلاع».

وختم الفهد بأهمية إيلاء الأنشطة العملية المرافقة لتدريس المقرر اهتماماً خاصاً، كالزيارات الميدانية لرحلات الكويت من كتاب و مفكرين ولما تاحف وأماكن عمل، ومسؤولين كبار، وإقامة حوار معهم يستطيع الناشئة خلاله توجيه الأسئلة والتعرف إلى طبيعة المكان ... أو المسؤول، وهو الأمر الذي يحدث في الدول المتقدمة، حيث يمكن الناشئة في الولايات المتحدة مثلاً من زيارة وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» وغيرها من المؤسسات الأخرى، كما تنظم زيارات ميدانية للناشئة في بريطانيا إلى القلاع التاريخية والمتاحف... وهكذا يتكمّل الجانب التحريري والشفهي للمقرر مع الجانب العملي، فيلم التلاميذ بصورة وطنهم وتتكرس فيهم قيم حبه واحترامه... واحترامهم لذواتهم وهويتهم.

كان لاهتمام الأسرة الحاكمة الكريمة، بالجواد العربي الأصيل، شأن وأثر منذ ما قبل تأسيس الكويت العالمية. مروراً بكل مراحل تطور البلاد وحتى مواكبتها للعالمية اليوم. فالفروسية جزء لا يتجزأ من حياة العرب منذ أقدم عصورهم، تحدث عنها المؤرخون ودون أخبارها المهتمون على تطاول الأزمان والصور مما لا يسع المجال لذكره.



بقلم: طلال الشمري

مُقتطفاتٌ من تاريخ اهتمامِ أُمّراءِ الْكُوَيْتِ بِالْخَيْلِ وَالْفُرُوسِيَّةِ

ولقد شَرَفَ بعض شيوخ البدية بإهداء الشيخ مبارك عدداً غير قليل من الجياد العَرَاب التي تتجهها مرابط قبائلهم. وكان الشيخ مبارك يهتم بأهل البدية منذ أن كان أميراً لها وقبل توليه سدة الحكم والإمارة. وينقل لنا الرحالة رونكيير صورة آمنة مطمئنة للبدية في سنة ١٩١٢م - أي في أواخر سني حكم الشيخ مبارك - يقول فيها: «إن الكويت هي الموضع الذي يمكن لأهل البدية أن يصلوا إليه من قلب الجزيرة، دون أن يتعرضوا لمضايقة أو مصادرة لأسلحتهم. ويرجع ذلك إلى ما يوفره نفوذ شيخ الكويت وسلطته من أمان على بادية الكويت». ومن الإشارات المفيدة حول الفروسية في زمان الشيخ مبارك، ما أوضحته بعض الوثائق من خلال عرضها

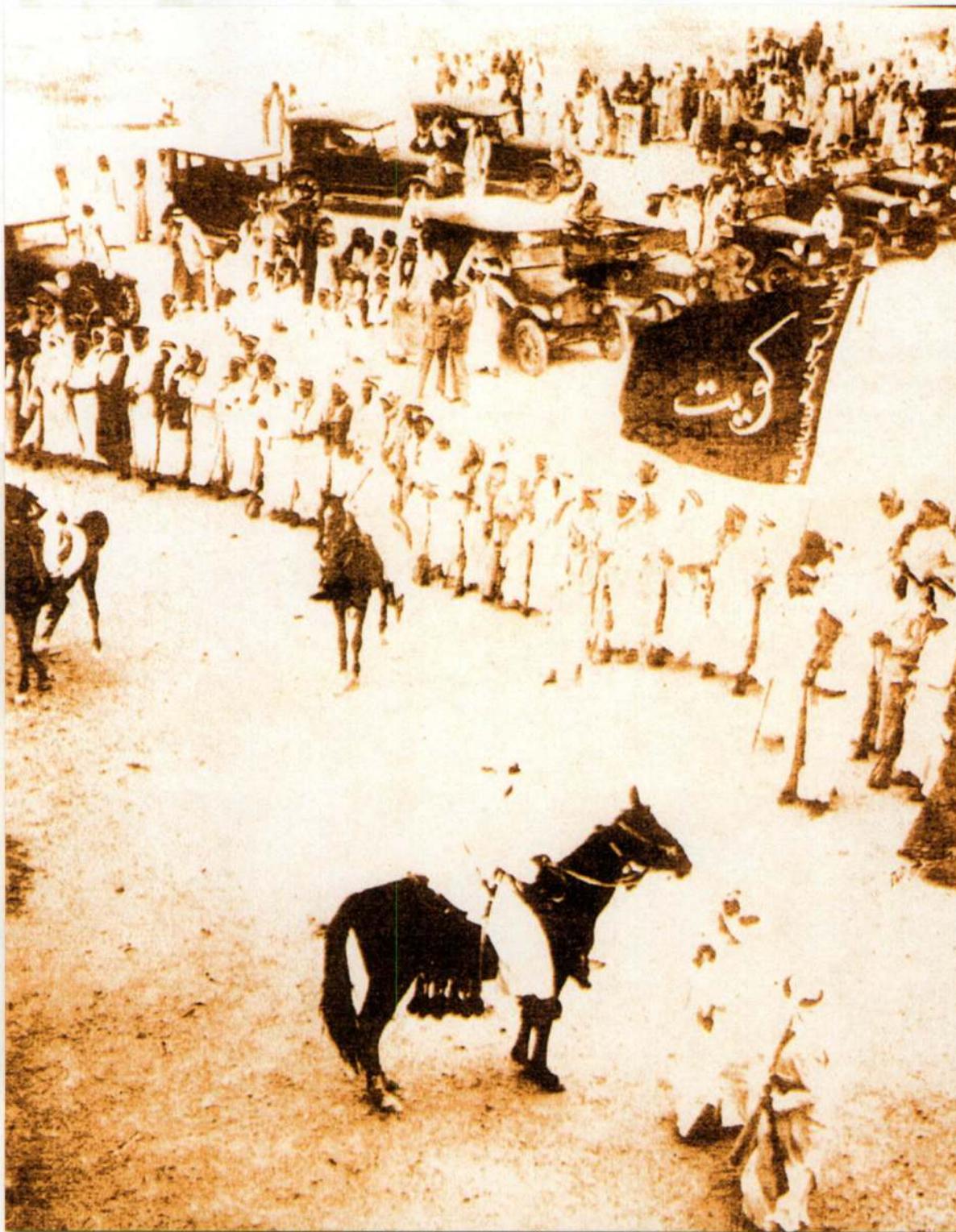
حملت أيام تأسيس الكويت ومسيرة مؤسسيها **الأخلاقية** من الرعيل الأول، الكثير من الصعاب والتي تم بتوفيق الله تعالى تجاوزها، ولقد كان للفروسية وأخلاق الفرسان التي يتحلى بها ولاة الأمر وهذا الشعب الأبي دور مهم في ذلك، سلطته صفحات من معارفهم وأيامهم. فالشيخ مبارك الصباح، وهو مؤسس الكويت الحديثة، واحد رجالات ذلك الدهر سياسة ودهاء، كانت له عناية بالخيل، واهتمام ظاهر بالفروسية، وقد كان لكل ذلك دور حاسم في النقاط الفاصلة في تاريخ الكويت في عهده. وقد كان يُعد من شجعان العرب البارزين آنذاك.



عِدَّهُ نِصَالَكُمْ بِالظَّلَامِ ادْهَاراً
بِامَّاتِ نَصْفَ خَشَابٍ طَوَالْ وَقَصَار
وَلِلشَّيْخِ الْفَارِسِ سَالِمِ الْمَبَارِكِ الصَّبَاحِ أَمِيرِ الْكُوَيْتِ حَتَّى
سَنَةِ ١٩٢١ مَأْحُدِيَاتِ جَمِيلَة، حَفَظُهَا لَنَا الرُّوَاةُ، قِيلَتْ فِي
أَيَّامِ عَظِيمَةٍ. وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فَإِنَّ حَدَاءَ الْخَيْلِ مَمَّا
يَتَعَشَّقُهُ الْفَرَسَانُ وَيَلْهُجُ بِهِ أَهْلُ السَّيفِ وَالسِّنَانِ، لَذَا
يَقُولُ الْفَارِسُ الْكَرِيمُ هَذَالُ بْنُ فَهِيدٍ شَيْخُ الشَّيَابِينِ مِنْ
قَبْيَلَةِ عَتَيْبَةِ مُحَرَّضاً عَلَيْهِ وَمُنْتَقِداً السُّكُوتِ عَنْهُ:
يَا أَهْلَ الرَّمَكِ كُلَّ يَجِيبِ حَدَاءَ اَنْتُمْ وَرَاكُمْ مَا تَحْدُونَ؟
تَرِي الْحَدَا لِأَهْلِ الرَّمَكِ مُشَاهَهٌ
فَكَاكَهُ التَّالِي نَهَارُ الْكُونِ

لمظاهر الاحتفال الذي أقيم في الكويت لاستقبال اللورد كيرزون نائب ملك بريطانيا في الهند عام ١٩٠٣ م. وقد استقبله الشيخ مبارك وكان في استقباله ٢٠٠ فارس كويتي مع ٢٠ هجاناً و٤٠٠ محارب مسلحين بينما دق «مارتيني» البريطانية، والتي يسمى بها العامة: مارتين. وقد انتشرت في الخليج إبان النفوذ الإنجليزي، وقيل إنها صنعت سنة ١٨٧١ م. ومن أنواعها المشهورة: أم نصف خشاب، ومن ذكرها: شاعر الكويت الكبير حمود الناصر البدر في قصيده الدائعة الصيت خلال مسيرة الشيخ مبارك إلى معركة الصريف سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠١) حيث قال:





ومعنى حصان علوة أي: «الحصان الأصيل الذي يُعلى على الخيل لنجابته، أي ينرى عليها». وكعادته، فقد أكرم الشيخ سالم، وفادة فهران وأنزله في أحد قصوره.

وكان لأمير الكويت الراحل الشيخ أحمد الجابر (١٩٢١ - ١٩٥٠)، اهتمام بذلك أيضاً. وكان لخيله الكثيرة حمى (أرض رعوية محمية) في منطقة مشرف، وكانت تشرب من الفنطيس، وقد رآها بعض كبار السن ممن حذثوني عنها، وتعجبوا من كثرتها وتتوّع وجمال ألوانها، وقد أهدى إلينا ليفتنات ه. ر. ديكسون، ذات مرة كتاباً عن الخيول ألف في الولايات المتحدة للسير براون إلى الشيخ أحمد، وذلك في سنة ١٩٣٢ م.

وفي هذه السنة أيضاً، زار الرحالة المعروف كارل

(الرمك: الخيل - فصيحة. حداد: أحديه. مشاه: رغبة. الكون: المعركة). وكان هذال في معركة الصريف سنة ١٩٠١ م مع جيش الشيخ مبارك).

يقول الشيخ سالم:

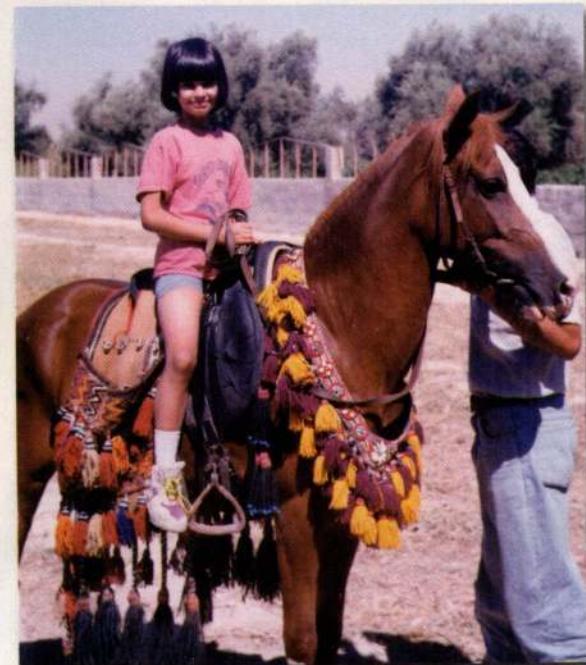
قطعاً نتربى على الكحيل والخيل بالصَّمْعِ تدوس لعيون من قرنه طويل نشي إلى هاب النسوس وقال أيضاً: يا ربنا ضاع الجميل معروفنا كل نساء ومن أهدي إلى الشيخ سالم: فهران الصديق شيخ الصايح من قبيلة شمر. فقد أهدي إليه حصاناً علوة. لابن عويده من الخامس من آل صبحي جماعة فهران. وقد ذكر حسين خرزل في كتابه «تاريخ الكويت السياسي» أن فهران وقومه يأتون للكويت لأجل الامتياز.



«كُروش» عند المالك منهم. ولهذا المربيط شهرته الفائقة والتي جعلت الشيوخ والأمراء يحرصون على اقتنائه مثل آل سعود وآل خليفة وغيرهم كما تحدث عن ذلك ديكسون وغيره.

وفي أثناء الكلام عن الكويت في كتاب «الخيول العربية» قال مؤلفه الدكتور خالد بكر كمال موضحاً اهتمام الكويت بذلك في العهد الميمون للشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير الكويت حفظه الله تعالى «ويذكر التاريخ أن هناك بعض العشائر لازالت تحفظ بأعداد من الأرسان المختلفة من الخيول العربية، وإن أصبح كبار المسؤولين وكبار التجار يملكون أعداداً لا يأس بها من الخيول العربية الأصيلة. يحتفظون بها في إسطبلات حديثة جداً، وأقيمت السباقات بإشراف أمراء الكويت. وحتى عام ١٤١١ هـ (١٩٩٠) كان عدد الخيول حوالي ٣٠٠٠ رأس، وتبلغ الخيول العربية الأصيلة منها ١٥٠ رأساً من الأفراس الشهيرة، فمنها الصقلاوية (٢٠)، حمدانية (١٥) والكحيلات (٥٠) وأرسان آخر (٦٥). وجاء في كتاب (الأحمدي الماضي والحاضر) ص ٢١٦: «تعتبر مدينة الأحمدي هي الرائدة في تاريخ رياضة الفروسية على مستوى دولة الكويت. وكانت البداية في الأربعينيات من هذا القرن في عهد المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح، حيث أقيم أول سباق للفروسية في الأحمدي».

وفي ص ٢٢٠ من الكتاب المذكور جاء أيضاً: «كان للمبادرة الطيبة والفتنة الكريمة لوالد صاحب السمو أمير البلاد المفدى، بتخصيص كأس وجوائز مادية قيمة، وكذلك لاهتمام كبار المسؤولين والشركات ووسائل الإعلام والصحافة الرياضية، أكبر الأثر في الانطلاق برياضة الفروسية إلى التقدم والازدهار».



رسوان خبير الجياد المشهور الكويت وسجل بعض مشاهداته. (انظر عرب الصحراء لـ ديكسون). ومما ينبغي الإشارة إليه أيضاً، أن لتجار الكويت نشاطاً في تصدير الخيل إلى الهند من ميناء الكويت والبصرة مثل يوسف البدر الذي تحدث عنه الكولونيال البريطاني لويس بلـ المقيم في «بوشهر» والذي زار ابن بدر في الـ جهراء، حيث إسطبلات خيله. ولاشك أن لتشجيع ودعم أمراء الكويت دوراً مهماً في ذلك. ومن مرابطـ الخيل الشهيرة عند آل صباح الكرام، مربيـ

صورة أدبية للغوص على اللؤلؤ .. ولحياة تختلج بالانتصار والألم

شراة .. في لجة البحر

■ تعتبر الآداب والفنون المرأة الأكثر صدقًا عن حياة الشعوب. ولقد عكس أدبنا - والشعر منه بخاصة - أهم المظاهر الاجتماعية والاقتصادية منذ القدم. وسنتوقف في هذا العدد عند صورة الغوص على اللؤلؤ في الشعر الكويتي، وهي الصورة التي أشار إليها كثير من الرحالة والمستشرقين الذين مروا بالكويت، خلال تجوالهم في منطقة الخليج العربي، محاولين ليس رصد فعل الغوص حسبًّا بل حياة كاملة كانت تكرر في كل فرد، وأشواقاً، هي مزيج من الانتصار والألم، كانت تعتمل في كل روح .. وبيئة صعبة، ومظالم لا تحصى.

بقلم: خالد النمش

ويصف لنا الشاعر الكبير ضوبيحي بن الرميح الهرشاني (١٨٤٠ - ١٩٠٧م) في الأبيات التالية ما يواجهه رجال البحر من الأخطار والشدائد، وما هم عليه من عزم وقوه:

هبت علينا عواصف والعواصف صلفة حيل
في وسط غبة بحر ماي وسماء وبحور وأمواج
شفنا الرهق لكن المعبد ربى عدل الميل
سبحان ربى فرجها يوم ضاقت راعي الأفراج
ركب البحر صعب ما دشوه شرдан الرجاجيل
ما دشه إلا شجاع ما يهين النفس لا أحتج
ويصور بقصيدة أخرى هيجان البحر
واضطرارهم إلى النزول للغوص في هذه الأجواء
والظروف السيئة فيقول:

البارحة مرقدي في راس تورة
واليوم بالهير قطوا فوقى إحبالي
قالوا لي شرضك وقتل الأرض
مش
إلحوف وأبيام وارض شيبت حالي
يا نوخذنة قل لهم بالعودة ونشورة
جب عن الهير وإنحر يمة العالى
ويقول في قصيدة أخرى:
هبت علينا الشمالة وزاده الموجة
يا كبدي اللي من القلاب حاديها
القوع فيه العسام وصار به روجة
علائم الشيت غير الدول كاسيها

يقول د. بول هاريسون: «إن بعضاً من عبير الرومانسية وعبراً خفيفاً من الليالي العربية تتسبّب بفكرة الغوص على اللؤلؤ، ولكن كأشياء كثيرة أخرى في هذا العالم الحقيقي، تبدّد المعرفة عن قرب الرومانسية .. وتجعل العبير المتبقّي أقل جاذبية، لقد كتب عنه الشعراء .. ولكن يخشى أنهم لم يروا أبداً وجه الحقيقة» - جريدة العرب المنسيّة العدد (٨٤، عام ١٩١٣) - تقارير العاملين في مستشفى الإرسالية الأميركيّة عن الكويت قبل النفط».

ويذكر القبطان الأسترالي - ألن فاليرز في كتابه «أبناء السنديان» أنه في عام ١٩٣٩ خرج من الكويت مائة وخمسون مركباً من جميع الأحجام والأنواع للغوص على اللؤلؤ .. وأنه في الماضي عندما كان صيد اللؤلؤ في ذروته كان يشتراك فيه أكثر من عشرين ألفاً من الرجال .. والحقيقة أنه لا توجد حياة تشبه حياة الغوص على اللؤلؤ في أهواها، وما سببها، وفي متابعتها ومشاقها، وفي بؤسها وعذابها .. ولذلك من الممكن تعريف الغوص على اللؤلؤ بمهمة «الأعمال الشاقة» إذا صح التعبير.





فيصف شاعرنا علو الموج عندما زادت الرياح
الشمالية عن معتدلهما والتي أدت إلى شبه انعدام
الرؤية و «العسام» هو الظلام الشديد، وتقدر ماء
البحر، وعلاوة على ذلك فقد انتشر «الدول» وهو
حيوان بحري مستدير الشكل تتدلى منه بعض
الخيوط، وهذا الحيوان شديد الأذى على الغواصين
لأنه إذا لامس أجسادهم يسبب لهم تورماً وحرقة
وتبيق آثارها مدة طويلة.

والشكوى من الفوضى وما يعانيه البحارة من هذه المهمة لها ما يبررها نظراً للظروف التي يعيشها البحارة وما يطرأ عليهم من أمراض وسوء الأحوال الجوية، وفي النهاية يتم الفواص مدين دائم للنواخذة، أو صاحب السفينة ذلك أن محصول الغوص قليلاً ما كان يسد دينه الذي استلفه، فهو مطلوب لصاحب السفينة، أو التاجر، وهناك ضريبة للحكومة، ثم المصارييف الأخرى لبيته وأهله والتي لا تترك شيئاً للبحار .. الذي يستلف ثانية ليسدد دينه الأول ويظل مدينا إلى ما لا نهاية.

ويوضح هذا المعنى الشاعر الشعبي الكويتي (ملا علي الموسى) في قصيدة جميلة يذم فيها الفوضى ومعاملة بعض النهاخذنة القساة:

وَمَعْنَاهُ بَعْضُ الْمَوْاخِدِ الْمُسَاهَةِ
غَوْصَهُمْ مَا يَنْعَنِي لَهُ
أَوْلَاهُ وَأَتَاهُ حَيْلَةٌ
لِيَتَيِّدَ فِي نَجْدِ غَابَ
سَالِمٌ مِنْ ذَا الْمَصَابِ
وَلَا حَضَرَتْ أَخْذَ

الباي
كل تاجر جا
ع ميله
قال سوق الدر
كاسه
والشرا والبيع فاسد
مير أنا ماني بنأشد
أرضي والكرة جالية

بس حاسبونا بالحبر والقراطيس
وين القماش اللي من الدر جبنا
الله عليهم وإن كلوا من تعينا
ما عتمر دار بها الظلم بينى
شيء يغضبه الله ويرضى به إبليس
قالوا العذر يا زيد جتنا اعلومك
واحنا بعدهم والله ما نلومك
مير استعن بالله يقوى عزومك
من يجي شملان ونرخي له الكيس
قماشنا بالهند والله طايج
ونها غدinya بين شاني وصايح
هذا السنة صارت علينا فضائح
انتم تبون افلوس وحنا مفاليس
قلت أنتم أهل الجودات والمروءة
مير شيء حدث فيكم يا ناس توه
اشوف وقت الغوص تاخذون قوة
يا ما حديتونا بعصي ودبابيس
يذكر د. بول هاريسون (١٩١٣م) - المرجع السابق -
«أن الرجال يغوصون من سفينة صغيرة طوال اليوم
في ماء قد يصل عمقه إلى خمسة وسبعين قدماً،
أنهم عملياً لا يأكلون شيئاً أثاء النهار سوى تمرتين
أو ثلاثة، وقليلًا من القهوة العربية وفي الليل وبعد
انتهاء العمل إلّيومي، يأكلون أكثر من هذا بقليل
ولكن ليس كثيراً.

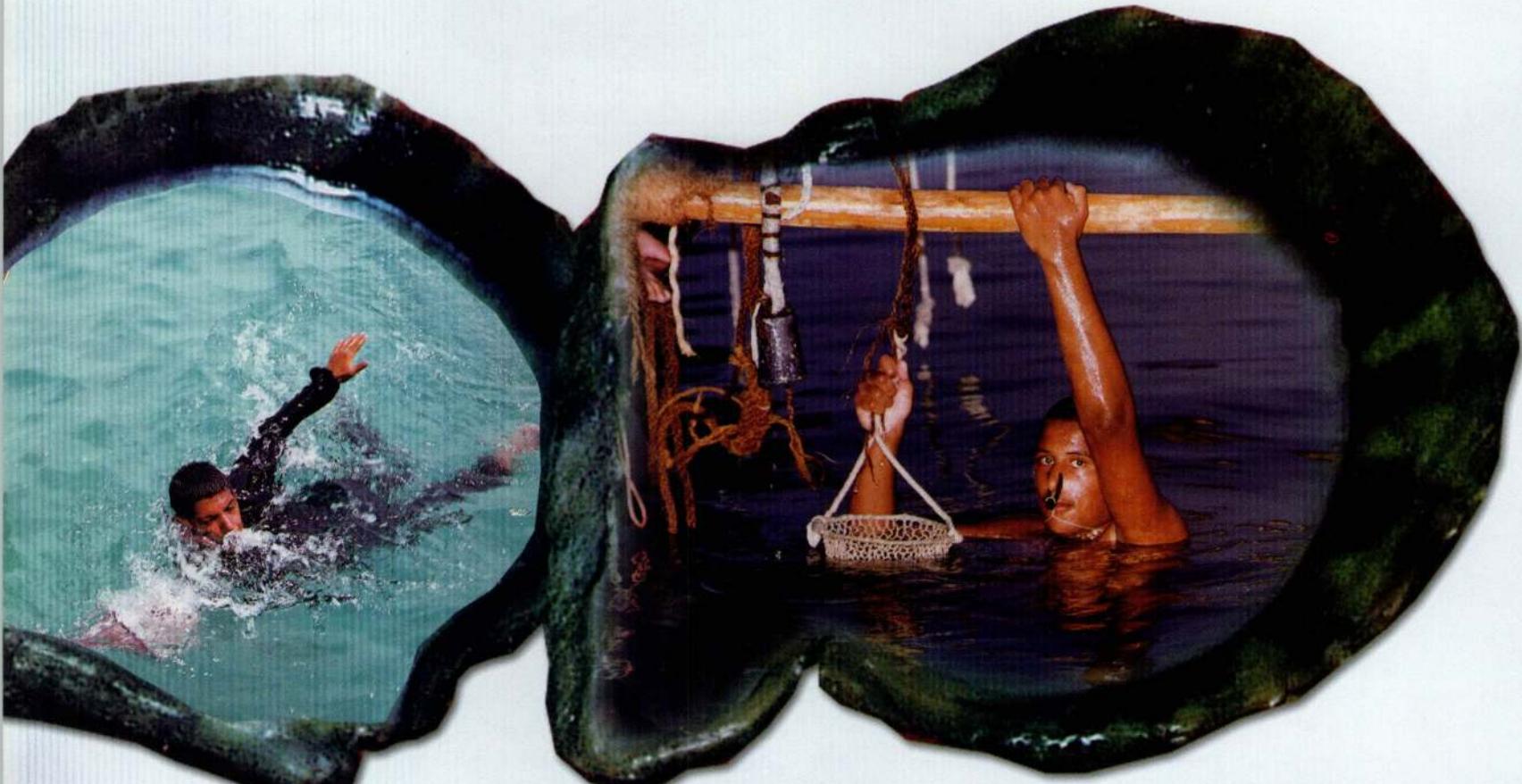
ثم ينامون ملتفين حول بعضهم في الأماكن الصغيرة
المخصصة لهم لكي يبدأوا العمل في اليوم التالي.
ويضيف الدكتور هاريسون: الإسقريوط هو مرض
نادرًا ما يعرف هذه الأيام في بلادنا، ولكن بعد
موسم الغوص لا تخلو جزيرة العرب من بعض
الحالات. بجانب ذلك هناك عدد من إصابات سمك
القرش وعدد من الذين لم يستطعوا تحمل الغوص
العميق، لقد سمعت في مكان ما عن أربعة رجال
ماتوا أثاء الموسم لأنهم لم يصعدوا السفينة
بالسرعة المطلوبة.

يؤكد الشاعر الكبير مرشد سعد البذالي في
قصيده التالية المعنى الحقيقي للمعاناة في الغوص
بعد تجربة حقيقة من رحلات متكررة كأنها لن
تنتهي إلا بالموت:

أشهد أن دنياي ما جت في عدال
زودوها كل علام ترذلون
ذوقتنا الكدر من عقب الزلال
وعلقت رمحينها بين المتون
خمسة أشهر ما قعدنا بالظلال
كود ظل اللي به العاف مخزون
في تصارييف الحجر هي والحبال
وان قضوا ذولا هذولا ينزلون
قالوا إن الصبر تقنيه الرجال
غرهم شيل الجلادا والمتون
يا مسولفين السوالف بالعدال
أثركم في اللي حكتوا تكذبون
أشهد أن الصبر تقنيه الجمال
كلما حطوا عليهم يحملون
ياردون الموت في كل الأحوال
غير ذلك والسكارى يضحكون

أنذر اللي يركبونه
عقب هذا لا يجرونه
وأيد الأرزاق دونه
من بكم عنده دليله
التعب بالغوص ضائع
عند شينين الطبائع
سوها فينا قطاع
عشيرة وبدينه تجيه
هذا دوبه نواخذ ذنا
عارفينه من زمانا
أقشر ما ينتدانا
طالب ربي يزيشه
وفي القصيدة التالية، نرى حال التجار والغواصين
عندما ضرب اللؤلؤ الصناعي اقتصاديات إمارات
الخليج، وكيف كسد سوق اللؤلؤ الطبيعي في أسواق
الهند وما آل إليه الحال بين التجار والنواخذة من
جهة وبين البحارة والغواصين من جهة أخرى، حيث
يقول الشاعر زيد الحرب:
وتجارنا عقب المعرفة جفونا
زل الشتا يا حمود ما سقمنوا
مادرى عسر فيهم ولا نسونا
الله عليهم وان نموا بالتعاكيس
هم مادروا باللي جرى الغوص كله
مثل الحمير تقاد خمسة أهل
نشكي العرى والجوع وبما المذلة
ونركض بخدمتهم سوات البنابيس
بالله عليهم وين ذيك التبايب
قل لي غدت بين الخلايق نهايب
إلا عليها غلقوا بالعصايب





عيت تسد الماكيي

انجاهد الغوص مجاهد الروم
أيضا ولا من محاصيلي
ويذكر المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان، في
كتابه «تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج
العربي» عن شاعر لم يذكر اسمه يذم الغوص
ويحذر منه ويصف كذلك المعاملة القاسية التي
يلاقيها البحارة من النواخذة .. فيقول:

تشاور بالغوص عمسين الأشوار
يا سامعين الغوص لاتركبونه
إن قلت راسي قال شبوا له نار
وان قلت بطنى قال دنوا حلوله
 وإن قلت ماني طيب قال عيار
دواهي والعذر ما يقبلونه
والغوص مهنة كما يصفها الكابتن الاسترالي - آلن
فاليرز - بقوله «إني أعلم من تجربتي على مثل تلك
المراكب. بأن قدرة الجسم البشري على تحمل
العذاب تكاد لا تصدق. ومع ذلك فإني إذا قست
الغوص على اللؤلؤ في الخليج العربي بأي مقياس.
أو رأيتها أو قرأت عنها. فإن الغوص يظل فظيعاً
حقاً».

يقول سيف الشملان في كتابه (تاريخ الغوص على
اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي)، «لم يدر في خلد
الغواصين عندما كانوا يغوصون في هذه الهميرات،
وعندما كانوا في حالة يائسة من ناحية العمل
الشاق وشظف العيش والمخاطر، ومن ناحية الفقر،
أن هذه الهميرات التي يستخرجون منها المحار للبحث
بداخله عن اللؤلؤ، سوف ينبع منها البترون الذهب
الأسود» ليمحي بذلك صفحة من صفحات الكد
والعمل الشاق من تاريخ الكويت.

واعذابي من طوبيات الليل
اشهد أن الغوص راعيه مغبون
كلما كمل هلال جا هلال
من محاتاهن يشين العيون
أربعة جرد نكم لهم كمال
لين يكمّل حتنهن وتقفلون
يالشامي يا كريمين السبال
كل كون غير كون الله يهون
بد من يومن تشوفون العدال
عقب ما رحتو جنوب تشملون
يبين لنا الشاعر من خلال هذه القصيدة أن الغوص
يستغرق من أربعة إلى خمسة أشهر عادة، وهي
يونيو، ويوليو، وأغسطس، وسبتمبر وبعض الأيام من
أكتوبر، وفي هذه الأيام من الصيف يكون الطقس
فيها أقرب إلى الجحيم، ويروي كبار السن من الذين
عاصروا الغوص وجريوه أن الغواص بعد انتهاء فترة
الغوص لا يستطيع أن يمشي لعدة أيام نظراً لطول
فترة مكوثه في البحر.
يقول الشاعر جمعان الحضينة العازمي، في أبيات
جميلة:

هني من فارق السنبوك
شاف الفنم والبعاريني
تسـعين ليلة وأنا مملوك
كنـي من السوق شاريني
والنوخذـذا حلـني بملوك
عشـرج من الصبح يـقيني
ويقول في قصيدة أخرى:
عزـي لـحالـي يا بو دـلوم
عزـي لـحالـك وـعزـي لـحالـي
تسـعين مـثـقال تعـطيـي القـوم

البشت.. حلية الرجل العربي ماضياً وحاضراً

البشت من مكمّلات الرجلولة وتاج هندامها. ويبدأ الكويتي - عادة - بلبس البشت عندما يصبح رجلاً. ومن أقوال أهل الكويت «عشت ولبست البشت»، ويقال هذا للطفل، وهو دعاء له بأن يكبر لكي يلبس البشت ويصبح من الرجال. وقد يدعاً كان الولد يفرح كثيراً عندما يلبس البشت، إذ يصبح بعد ذلك في عداد الكبار، ويفاخر به أقرانه، وغالباً ما يلبس بشت والده أو قريبه، حيث يمنحه إياه، عندما يكبر.

ويقتصر لبسه حالياً على المناسبات العامة والخاصة. وقد أشارت كتب اللغة إلى العبادة التي كان يلبسها العرب، فذكر الزبيدي في موسوعته القيمة «تاج العروس» أن العبادة:

«كساء معروف وهو ضرب من الأكسية فيه خطوط، وهو جبة من الصوف». وقال ابن منظور في كتابه «لسان العرب»: «إن العبادة ضرب من الأكسية والجمع أعبنة».

ويصف المستشرق زينهات دوزي لباس العرب في كتابه «تكلمة الماجم»، فيقول عن العبادة: «إنها منسوجة من نسيج غليظ، وهو من الصوف المبروم المخطط موزع على سطور بيضاء وسوداء».

وهذا الوصف يشبه إلى حد كبير العبادة «البرقاء» التي كانت تستخدم في الكويت، وهي عبارة عن لونين بخطوط عريضة بطول البشت (أبيض وأسود، أو أشقر وأبيض).

ويرى عن المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود وصفه للبشت بأنه «جناح العرب».

وللبشت علاقة بمرح الأولاد ولعبهم وخاصة بشت «المزوية»، فبعض الألعاب تلعب بواسطة البشت ومنها «الصغروف»، وهناك لعبة أخرى يمارسها الصغار والكبار ويستخدمون البشت فيها وتسمى «إمحيبس».

وللبنات أنشودة قديمة للدلالة على نعومة ملمس البشت، ويقصد بذلك البريسم، وهو من خيوط الحرير المستخدمة لخياطة المكسر، حيث تقول البنات:

أنا خلاله حمرا وأنا خويط بريسم

ومن ضمن استخدامات البشوت في الماضي أنها كانت تقي لاسها من حر الصيف، إذ كان يضعها فوق رأسه، وفي الشتاء يستخدمها كفطاء للوقاية من البرد.

الصوف والوبر

تصنع البشوت من الأصوف، مثل صوف الماعز والغنم ووبر الجمال وحيوان اللاما. وهناك نوعان من البشوت هما: الرفيع والسميك، الأول خفيف الوزن، ويستخدم في الصيف ويكون من الغزل الرقيق وهو في الغالب من الوبر، وأميذه النجفي، والنوع الآخر سميك يستخدم في الشتاء. وهناك نوع آخر يسمى «المزوية» أو بشت جبر، أو الصفة. ويكون غزله من الصوف المحلي الخشن، ويعرف أيضاً بشت أهل البدية، كما يستعمله البعاره في رحلاتهم. وحياكه البشوت حرفة تقليدية امتهنها الرجال في الكويت، وكانت النساء تشاركن في غزل الصوف فقط. وتم صناعة البشوت على مرحلتين هما:

الأخوة عرفت الكويت في أوائل القرن العشرين عدداً من الصناعات المحلية التي فرضتها متطلبات الأسواق المحلية ورغبة عدد من الأشخاص والعائلات بالتوجه نحو العمل في الصناعة بعيداً عن التجارة البحرية وأخطارها وتقليبات مواسمها، كما ساهم في ذلك تنامي شبكة علاقات الكويت مع دول الجوار والاستفادة مما تحويه من مواد خام أو ما تتطلبها من بضائع يمكن تقطيعها من الإنتاج الكويتي.

وهكذا انطلقت بعض الصناعات التي كانت متواضعة في بدايتها، لكنها ما لبثت أن ازدهرت وتوسعت مع ازدياد الخبرة والمعرفة وتطور المجتمع الكويتي والنهضة التي عاشتها الكويت حينذاك.

ومن الصناعات القديمة التي اشتهرت بها الكويت: صناعة حياكة البشوت التي كانت بداياتها في أوائل ذلك القرن، والتي استمرت بالازدهار حتى غدت حالياً صناعة ذات شأن تستخدم أحدث الآلات و تستورد أجود المواد الخام و تستعين بالเทคโนโลยيا الحديثة، واستطاعت أن توافق التطور الصناعي وتتجوّل من خطر الانقراض كما حدث لعدد من الصناعات القديمة.

لباس عربي

والبشت لباس عربي شائع، وهو ما يطلق محلياً على العبادة التي يلبسها الرجال فوق ملابسهم منذ القدم، وهي كساء معروف ونوع من الجبة المصنوعة من الصوف.

والبشت لفظة فارسية لنوع من الأكسية الصوفية. والإيرانيون يسمون البشت بوشت، وتعني بالفارسية «خلف»، ومعناها ما يلف على الخلف، أي ما يلبس على الظهر.

والعبادة أو البشت كانت شائعة عند العرب منذ فترة طويلة، وقد لبسها البدو والحضر. وفي دول الخليج يلبس البشت فوق الدشداشة ويرمز للوجاهة والهيبة ويلبسه كبار ووجهاء البلاد

رابعة بركات





● كانت ثمة حاجة وظيفية للبشت في الماضي.. فهو يقي لبسه من حر الصيف وقر الشـتاء.

● البشت لباس عربي معروف.. يرمز للوجاهة والهيبة ويلبسه كبار البلاد ووجهاؤها في الناسـبات.

● حياكة البشوت حرفة تقليدية امتهنها بعض رجال الكويت وكانت النساء تشارك في غزل الصـوف.

أو ما يسمى (الباركـة)، والأخيرة حوش يعمل فيه الحاكـة ويكون منفصلاً عن حرم المنزل. وكان هؤلاء الرجال يحـيكـون البـشـوت على أنـوال خـشـبية يـصنـعـها قـلـالـيفـ الـكـويـتـ وـكانـ كلـ مشـغـلـ يـنـجـعـ ماـ بـيـنـ ٢٠ـ وـ ٣٠ـ قـطـعـةـ نـسـيجـ يـوـمـيـاـ، ثمـ تـخـاطـ وـتـبـاعـ فـيـ سـوقـ البـشـوتـ. وـتـسـمـيـ مـشـاغـلـ الـخـيـاطـةـ بـالـدـيـوـانـيـاتـ (ـدـيـوـانـيـاتـ الـخـيـاطـةـ). وـهـنـاكـ مـشـاغـلـ خـاصـةـ لـتـصـنـعـ الـقـيـاطـانـ، وـالـقـيـاطـانـ هوـ مـجـمـوعـةـ خـيوـطـ مـنـ الـزـرـيـ عـلـىـ شـكـلـ سـبـلـةـ تـثـبـتـ فـيـ طـرـفـ الـدـرـبـوـيـةـ وـتـتـهـيـ بـحـبـاتـ كـروـيـةـ ذـهـبـيـةـ تـسـمـيـ ضـفـيرـةـ. وـيـوـضـعـ الـقـيـاطـانـ لـتـجـمـيلـ الـبـشـتـ مـنـ نـاحـيـةـ الـصـدـرـ. وـمـنـ أـمـيـزـ وـأـجـودـ أـنـوـاعـ الـبـشـوتـ فـيـ الـكـويـتـ كـانـ بـشـتـ الـوـبـرـ مـنـ صـوـفـ الـجـمـلـ، وـكـانـ مـنـ أـدـقـ أـنـوـاعـ الـصـوـفـ وـأـرـقـهاـ غـزـلاـ. وـيـأـتـيـ هـذـاـ النـوـعـ فـيـ الـفـالـبـ مـنـ الـنـجـفـ فـيـ الـعـرـاقـ، كـمـاـ كـانـ هـنـاكـ نـوـعـ آخـرـ مـنـ الـوـبـرـ يـأـتـيـ مـنـ إـيـرـانـ مـنـ مـنـطـقـةـ الدـورـقـ وـصـارـ يـعـرـفـ بـبـشـتـ الدـورـقـ. أـهـمـ الصـادـرـ:

- بـشـتـ الـبـغـلـيـ: رـيـاضـ مـحـمـدـ الـبـغـلـيـ، الـكـويـتـ، ١٩٩٩ـ.
- تـقـالـيدـ: الشـيـخـةـ أـطـافـ سـالـمـ الـعـلـيـ، الـكـويـتـ، ٢٠٠٠ـ.
- الـمـوـسـوعـةـ الـكـويـتـيـةـ الـمـخـتـرـةـ: حـمـدـ السـعـيدـانـ، الـكـويـتـ، ١٩٧٢ـ.

خـيـاطـةـ الـبـشـوتـ

أـهـمـ الـمـوـادـ وـالـأـدـوـاتـ الـمـسـتـخـدـمـةـ فـيـ خـيـاطـةـ الـبـشـوتـ:

- الـدـرـجـ: قـمـاشـ الـبـشـتـ قـبـلـ خـيـاطـتـهـ (ـمـنـ الـوـبـرـ أوـ الـصـوـفـ).
- الـزـرـيـ: خـيطـ مـنـ الـحـرـيرـ مـغـلـفـ بـالـفـضـةـ وـمـطـلـيـ بـالـذـهـبـ.
- الـبـرـيسـمـ: خـيطـ مـنـ الـحـرـيرـ الطـبـيعـيـ.
- الـبـطـانـةـ: شـرـيطـ مـنـ الـقـمـاشـ بـلـوـنـ الـبـشـتـ يـوـضـعـ تـحـتـ الـدـرـبـوـيـةـ.
- الـشـمـعـ: شـمـعـ عـسـلـ يـمـرـ بـهـ خـيوـطـ الـزـرـيـ لـتـسـهـيلـ الـخـيـاطـةـ.
- الـبـرـدـاخـةـ: قـطـعـ خـشـبـيـةـ مـنـ نـوـعـيـةـ خـاصـةـ تـوـضـعـ عـلـيـهـاـ الـدـرـبـوـيـةـ لـيـتمـ صـقـلـ الـزـرـيـ بـطـرـيقـةـ فـنـيـةـ باـسـتـخـدـامـ يـدـ هـاـونـ خـاصـةـ.
- الـقـيـاطـانـ: مـجـمـوعـةـ خـيوـطـ مـنـ الـزـرـيـ مـثـبـتـ بـطـرـفـ الـدـرـبـوـيـةـ وـتـتـهـيـ بـحـبـاتـ كـروـيـةـ ذـهـبـيـةـ، لـتـجـمـيلـ الـبـشـتـ مـنـ نـاحـيـةـ الـصـدـرـ.

مـصـطـلـحـاتـ خـاصـةـ

بعـضـ الـمـصـطـلـحـاتـ الـمـسـتـخـدـمـةـ فـيـ خـيـاطـةـ الـبـشـوتـ:

- ١ـ الـخـيـانـةـ: تـقـصـيرـ أوـ تـطـوـيلـ الـبـشـتـ حـسـبـ طـولـ الـشـخـصـ وـهـيـ عـلـىـ نـوـعـيـنـ:
- قـطـابـةـ.
- شـلـالـةـ.
- ٢ـ الـحـفـرـةـ: الـجـزـءـ الـعـلـوـيـ الـعـرـيـضـ مـنـ الـدـرـبـوـيـةـ.
- ٣ـ تـسـنـينـ: تـشـيـتـ الـدـرـبـوـيـةـ الـقـدـيمـةـ بـدـرـجـ جـدـيدـ.
- ٤ـ الـخـدـيدـ: الـجـزـءـ السـفـلـيـ مـنـ الـدـرـبـوـيـةـ، وـهـوـ يـمـثـلـ أـقـلـ مـنـ الـثـلـثـ.
- ٥ـ الـحـوـذـةـ: آخرـ الـحـفـرـةـ مـنـ جـهـةـ الـخـدـيدـ.
- ٦ـ الـهـيـلـةـ: التـبـيـتـ، السـمـوـطـ، التـلـمـيـسـ: مـنـ أـجـزـاءـ الـدـرـبـوـيـةـ.
- ٧ـ الـبـرـوـجـ: إـحـدىـ مـرـاحـلـ الـخـيـاطـةـ.

١ـ مـرـحلةـ الـخـيـاطـةـ وـالـنـسـيجـ وـذـلـكـ عـلـىـ نـولـ أـرـضـيـ تـقـليـديـ.

٢ـ مـرـحلةـ الـخـيـاطـةـ حـيـثـ يـفـصـلـ الـبـشـتـ وـيـطـرـزـ بـالـزـرـيـ أوـ الـبـرـيسـمـ. وـتـقـمـيزـ بـشـوتـ مـنـطـقـةـ الـخـلـيـجـ وـالـكـويـتـ بـخـاصـةـ بـالـتـطـريـزـ بـالـزـرـيـ إـلـيـدـوـيـ، أوـ مـاـ يـعـرـفـ فـيـ الـكـويـتـ بـالـدـرـبـوـيـةـ، وـخـلـيـجيـاـ يـسـمـيـ الـخـوارـ. وـيـطـلـقـ عـلـىـ الـشـخـصـ الـعـالـمـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ (ـالـجـبـنـ). وـالـزـرـيـ خـيطـ مـنـ الـحـرـيرـ مـغـلـفـ بـالـفـضـةـ وـمـطـلـيـ بـالـذـهـبـ، وـإـذـ أـحـسـنـ الـعـنـيـةـ بـهـ حـافـظـ عـلـىـ لـعـانـهـ لـفـرـةـ طـوـلـيـةـ.

يـسـتـورـدـ الـزـرـيـ الأـصـلـيـ أوـ مـاـ يـطـلـقـ عـلـيـهـ (ـزـرـيـ حـرـ)ـ مـنـ أـلـمـانـيـاـ وـفـرـنـسـاـ، وـهـنـاكـ زـرـيـ مـذـهـبـ، وـهـوـ خـيطـ حـرـيرـ مـطـلـيـ بـلـوـنـ ذـهـبـيـ وـيـسـتـورـدـ مـنـ فـرـنـسـاـ وـهـنـدـ.

وـأـشـهـرـ النـقـوشـ وـالـتـصـامـيمـ فـيـ الـكـويـتـ هـيـ دـقـةـ الـمـنـادـيـ وـالـمـقـطـعـ، وـيـتـراـوـحـ عـرـضـ الـدـرـبـوـيـةـ مـاـ بـيـنـ ٢ـ وـ ٤ـ سـمـ وـقـدـ يـزـدـ حـسـبـ الـطـلـبـ.

وـهـنـاكـ نـوـعـ آخـرـ مـنـ النـقـوشـ يـعـرـفـ بـالـمـكـسـرـ، وـهـوـ عـبـارـةـ عـنـ درـبـوـيـةـ تـقـصـيلـ الـبـشـتـ وـتـطـريـزـ يـدـوـيـاـ عـلـىـ حـوـافـ الـقـمـاشـ، وـيـسـمـيـ جـاسـبـيـ، وـهـوـ عـلـىـ نـوـعـيـنـ:

- مـكـسـرـ زـرـيـ.

- مـكـسـرـ بـرـيسـ.

وـثـنـاثـ ثـلـاثـ يـسـمـيـ (ـالـتـرـكـيـبـ)ـ وـهـوـ عـبـارـةـ عـنـ درـبـوـيـةـ جـاهـزـةـ عـلـىـ شـكـلـ شـرـيـطـ تمـ تـطـريـزـهـ آلـيـاـ مـنـ الـزـرـيـ المـذـهـبـ يـثـبـتـ عـلـىـ قـمـاشـ الـبـشـتـ بـعـدـ تـفـصـيلـهـ.

سوقـ مـزـدـهـرـ

كـانـ الـكـويـتـ تـضـمـ سـوقـاًـ مـزـدـهـرـاًـ لـلـبـشـوتـ مـكـانـهـ فـيـ قـيـصـرـيـةـ الـبـدرـ الـمـتـفـرـعـةـ مـنـ السـوقـ الدـاخـلـيـ الـقـرـيـبـ مـوـقـعـ سـوقـ الـمـنـاخـ حـالـيـاـ فـيـ قـلـبـ الـعـاصـمـةـ الـكـويـتـ قـرـبـ الـأـسـوـاقـ الـقـدـيمـةـ.

وـفـيـ عـامـ ١٩٢٩ـ اـنـتـقـلـ تـجـارـ الـبـشـوتـ إـلـىـ قـيـصـرـيـةـ الـمـغـفـورـ لـهـ الشـيـخـ فـهـدـ السـالـمـ الـصـيـاحـ، وـهـيـ السـوقـ الـمـعـرـفـ بـسـوقـ الـبـشـوتـ وـالـزـلـ، وـيـقـعـ حـالـيـاـ فـيـ مـنـطـقـةـ الـأـسـوـاقـ الـقـدـيمـةـ بـيـنـ سـوقـ الـفـرـيـلـيـ وـسـاحـةـ الـصـفـافـةـ، حـيـثـ اـزـدـادـ عـدـدـ مـحـالـ الـبـشـوتـ وـمـشـاغـلـهـ، وـصـارـ لـسـوقـ شـهـرـةـ كـبـيرـةـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـنـ الـخـلـيـجيـ وـالـعـرـبـيـ، وـمـنـ أـشـهـرـ أـصـحـابـ الـمـحـالـ عـائـلـاتـ الـقـطـانـ وـالـبـغـلـيـ وـبـوـحـمـدـ وـالـحـاضـرـ وـالـشـوـافـ وـالـسـعـيدـانـ وـبـوـخـمـسـيـنـ وـالـدـوـيـسـيـانـ وـالـتـبـيـبـ.

وـكـانـ السـوقـ يـتـمـيـزـ بـحـرـكـةـ دـوـيـةـ، وـذـلـكـ يـعـكـسـ اـهـتمـامـ الـمـجـتمـعـ بـالـبـشـوتـ، وـمـاـ يـمـيـزـ السـوقـ أـيـضاـ وـجـودـ دـلـالـينـ لـبـيـعـ الـبـشـوتـ.

لـكـ هـذـاـ سـوقـ أـحـرـقـ بـالـكـاملـ وـنـهـبـ أـثـنـاءـ الغـزوـ الـعـرـاـقـيـ عـامـ ١٩٩٠ـ، وـاـنـتـقـلـتـ مـحـالـ الـبـشـوتـ إـلـىـ شـارـعـ سـعـودـ بـنـ عـبدـالـعـزـيزـ بـمـنـطـقـةـ الـمـيـارـكـيـةـ، وـهـوـ مـوـقـعـ مـجاـوـرـ لـلـسـوقـ الـقـدـيمـ.

وـكـانـ سـوقـ الـبـشـوتـ يـحـوـيـ مـشـاغـلـ كـثـيرـةـ فـيـهـ اـسـتـادـيـةـ أوـ مـعـازـبـ يـعـملـ لـدـيـهـمـ صـبـيـةـ مـتـدـرـيـونـ يـتـقـاضـونـ رـوـابـ شـهـرـيـةـ تـبـلـغـ نـحـوـ ١٠٠ـ روـبـيـةـ لـقـاءـ عـلـمـهـ، أـمـاـ الـأـكـلـ وـالـشـرـبـ فـقـدـ كـانـ عـلـىـ الـأـسـتـادـ الـذـيـ كـانـ يـشـتـرـيـ الـغـزـلـ بـالـجـمـلةـ ثـمـ يـعـطـيهـ لـلـحـرـيمـ أـوـ الـنـسـاءـ لـيـغـزـلـهـ فـيـ بـيـوـتـهـ، وـبـعـدـ ذـلـكـ يـنـسـجـ مـنـ قـبـلـ الـحـاكـةـ الـرـجـالـ يـدـوـيـاـ فـيـ الـمـصـنـعـ أـوـ الـمـشـغـلـ.



عبدالحميد الزهراوي
العلامة الشهيد

صعوداً إلى المجد عبدالحميد الزهراوي: المشقة أرجوحة الأبطال

التي يختارها، لكن الزهراوي رفض ذلك، فما كان من السلطان عبد الحميد إلا أن أمر بتوقيفه سنة ١٨٩٧، ثم أرسله للإقامة الجبرية في دمشق.

وفي دمشق، لم يلبث الزهراوي أن عاود نشاطه، فراح يرسل كتاباته الانتقادية إلى مصر لنشر على صدر صفحات جرائد «المؤيد» و«المقطم» و«الجريدة»، الأمر الذي أثار حفيظة وإيصاله في الحق والعدل ورفض الظلم، فوضعوه تحت المراقبة، ثم فرضوا عليه الإقامة الجبرية، ولكن لسان قلمه أبى إلا أن يلهم بالحقيقة والكثيراً ورفض العسف الواقع على شعبه من محظى غاصب وظيف جبروته لممارسة كل أصناف التنكيل بحق أبناء وطنه، ولما تفلح معه كل سبل الغواية والتهديد ساقه السفاح جمال باشا إلى ساحة الإعدام بعد محاكمة صورية جائرة، وأمام حبل المشنقة قال المجاهد العلامة عبد الحميد حمص وفرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله.

الرحيل بحثاً عن الحرية

لم يستطع الزهراوي الصبر على هذه الحال المجمدة تحت عيون جواسيس السلطان عبد الحميد، ففكك في الرحيل إلى مصر رغم نصيحة الإمام محمد عبده له بالبقاء في سوريا وعدم الهجرة إلى مصر، وذلك خلال مراسلات بينهما قال الإمام محمد عبده في أحدها: «.. تمنيت لو تمنت بقربيك، كما قدر لي المتعة بأديبك، ولكن أحمد الله الذي يربينا ما نختار، في غير ما يقع عليه الاختيار فافت حيّث أنت أفع ما تكون لقومك، يجعل لهم حظاً من عمل يومك، تزحزح عن أبصارهم حجب الغفلة، وتعظم بما أوتيت من الحكمة، وتبقي نفوسهم لقبول الحق إذا أقبل، وتعدها لمدافعة الباطل إذا أضلل وأسأل الله أن يشد أزرك ويحفظ من ذلك وزرك، ويرفع من عملك قدرك، وأما صلتنا فصلة أمال وأعمال وهي خير صلة وأوقفها عند الرجال، بارك الله بك في أيامك ورزقك الخير والسعادة في أعوامك والسلام».

إنما، ورغم هذه النصيحة، آثر الزهراوي السفر إلى مصر بحثاً عن الحرية بعيداً عن جواسيس ورقابة السلطان عبد الحميد، واستطاع الإفلات من تلك الرقابة فاراً إلى مصر عن طريق طرابلس الشام عام ١٩٠٢، وفور وصوله راح يتصل بمعارفه من رجالات الإصلاح والنهضة سواء المصريون أو العرب الهاريون من جور الدولة العثمانية، ولم يمض وقت طويل حتى اتصل به الشيخ علي يوسف وكلفه بالكتابة في جريدة «المؤيد»، فواصل طريقه النضالي التوسيوي في تعرية صورة الحكم العثماني وسياساته ومراميه.

قضى الزهراوي في مصر خمس سنوات كتب خلالها العديد من المؤلفات منها كتاب «خديجة أم المؤمنين»، ورسالة «الحب والبغض» وهي ذات طابع فلسفى نشر فصولها الأولى في مجلة «المنار الإسلامي» لصاحبها الشيخ رشيد رضا، وكتاب «النحو وعلم البلاغة والمنطق» إضافة إلى كتابه الهام «الإمامية وشروطها» الذي ألبى عليه السلطات العثمانية أكثر لجرأته وكشفه الصريح لعدم شرعية الحكم العثماني ولاتهامه الصربي للسلطين الأتراك باغتصاب الخلافة وانتهak شروط الإمامة. في عام ١٩٠٨ وأثر إعلان الدستور عاد إلى حمص ثم غادر إلى الأستانة ليؤسس جريدة الأسبوعية البارزة «الحضارة»، التي نشر فيها وعلى مدى ثلاث سنوات أقوى مقالاته داعياً المجتمع العربي للخروج من كبوته والوقوف صفاً واحداً ضد المستعمرين والحفاظ على مجد وكيان الأسلام، ومن إحدى افتتاحيات مقالاته نقتطف قوله: «اليوم لا عذر لنا بعد أن استيقظنا من الهاجع، وصحا الوستان، ورأينا أنفسنا في مأسدة قد شرحت لبؤاتها، وتعودت طعم أمثالنا لهاواتها...».

وحيث يقرأ المرء ما كتب الزهراوي يظن بأن التاريخ يعيد نفسه

■ فضح استبدادهم وحكمهم اللاشرعى، وفتح الأعين على سياساتهم ونواياهم في طمس الإسلام والعروبة، فاستنشطا غضباً، ولما حاولوا رسوته ليسكن أبيه والتزم مبادئه في الحق والعدل ورفض الظلم، فوضعوه تحت المراقبة، ثم فرضوا عليه الإقامة الجبرية، ولكن لسان قلمه أبى إلا أن يلهم بالحقيقة والكثيراً ورفض العسف الواقع على شعبه من محظى غاصب وظيف جبروته لممارسة كل أصناف التنكيل بحق أبناء وطنه، ولما تفلح معه كل سبل الغواية والتهديد ساقه السفاح جمال باشا إلى ساحة الإعدام بعد محاكمة صورية جائرة، وأمام حبل المشنقة قال المجاهد العلامة عبد الحميد الزهراوي قوله المشهورة: المشنة أرجوحة الأبطال.

معاناة طويلة وممتدة عاشها الشعب السوري في ظل الاحتلال عثماني بغيض لم يوفر أي وسيلة من وسائل الإذلال والتجويع والتجهيز والخداع إلا مارسها، كما لم يوفر الشعب - رغم ضعف حيلته وإمكانياته - أي وسيلة من وسائل المقاومة إلا واستغلالها، في ظل معرفة أكيدة بكل الويلات التي كانت تجرها عليه، وإلى جانب المقاومة المسلحة ظهر رواد الفكر والنهضة وراحوا يعرّون المحتل ويفضحون خططه وممارساته العدوانية أمام الرأي العام العربي والعالمي، فتشكلت المنتديات والجمعيات المنافحة عن حق الشعب بالحرية والاستقلال، وشرعت الأقلام تحمل وتبين غطرسة السلطة العثمانية ولاشرعية حكمها، وعلى رأس تلك النخبة من المفكرين والرواد كان المفكر الشهيد عبد الحميد الزهراوي.

ولم يكن الزهراوي أحد كبار مفكري العرب في مطلع القرن الشرين فحسب، بل كان أيضاً واحداً من أمراء البيان في تاريخ النهضة العربية الحديثة، وقد وظف ذلك في دعوة المجتمع العربي صراحة وبصوت عال إلى التوحد والنهوض نهضة رجل واحد يوجه المستعمر ونبذ كل أشكال الهوان، وكانت كتاباته من الجرأة بحيث انتقدت علانية ممارسات الحكومة العثمانية وجورها وعسفها، داعياً إلى الاستقلال والاعتراف باللغة العربية رسمياً وتأمين حرية الرأي العام وتوظيف كل السبل لتحقيق ذلك.

فمنذ فتح عينيه على هذه الحياة في مدينة حمص عام ١٨٧١ رأى مالاً يحصى من الويلات والمساوئ التي سطّرها المحتل العثماني بحق أهله وأبناء وطنه، وما أن اشتد عوده قليلاً حتى انفاسه في التعلم حيث التحق بكتاب الشيخ مصطفى الترك ثم دخل المدرسة الرشيدية إحدى مدارس وزارة المعارف آنذاك، فتمكن من اللغة العربية واللغة التركية أيضاً، ولكن لم يقف عند هذا الحد، بل أخذ يبحّر ويتعلّق في الفقه والتفسير والعقائد والحديث النبوي والعلوم العقلية العصرية مستعيناً بعلماء حمص في تلك الآونة ومنهم الشيخ عبد الستار الأتابسي والشيخ حسن الخوجة.

وما أن بدأ الزهراوي بالكتابة حتى أصدر جريدة سريّة أسماها «المنبر»، وراح يدّبّج فيها المقالات الفاضحة لجور واستبداد الحكم التركي، وكان يطبع الجريدة على «الجلاتين» بعيدها عن عيون الوالي العثماني، ثم يقوم بتوزيعها بنفسه، ولما تكالبت الشكوك حوله وضعته الحكومة العثمانية تحت المراقبة زمناً طويلاً، فعكف عن طباعة الجريدة، ثم رحل إلى الأستانة ليواصل عمله الصحفي محرراً للجزء العربي من جريدة «معلومات» التركية، وإثر اصراره على مواصلة الكتابة عن الحكم العثماني والغمز من لاشريعيته وتحريض الشعب على رفض الاستبداد أمر السلطان عبد الحميد بوضعه تحت المراقبة في الأستانة، ثم فكر بإبعاده عن العاصمة، فعرض عليه منصب قاضٍ في أحد الألوية

بِقَلْمِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمُقْدَادِ

**اليوم لا عذر لنا
بعد أن استيقظت
منا الهاجع
وصحا الوستان،
ورأينا أنفسنا
في مأسدة قد
شرحت لبؤاتها**



ساحة المرجة في دمشق.. هنا أعدم الزهراوي ورفاقه

يعكس ما أراد السفاح جمال باشا من هذه المجزرة، وهو إخمام جذوة النضال في نفوس أبناء الشعب العربي وتكتيبله بالخوف والاستكناة، ارتفعت الأنشودة البطولية: «طاب الموت يا عرب» واشتعلت الثورة وانطلقت الجماهير طالبة الانتقام، فإذا بالأرض العربية تحت أقدام الغاصبين بساط من لهيب مشتعل وبارود يتفجر في كل موقع، فما كان إلا أن اندر الفزاعة، وبقى صوت الحق مدوياً.

وقد استمرت ذكري شهداء السادس من أيار مبارزة وطنية و موقف عز وفخار سطره التاريخ بحروف من كبراء، ومشعل تحرير استخدمه الشعراة وما زالوا لتهيج الروح الوطنية والتذكير بعظمة الأجداد وبسالتهم في الذود عن حياض الوطن، ومما قاله الشاعراء في شهداء السادس من أيار أبيات قالها الشاعر سليم الزركلي في قصيده «شهداء أيار»:

أقواف الشهداء ماذا في سمائك
من جديد
كنت المنائر في الوفاء الحاضر
للمجد التليد
تيهي علاً فالدهر غير الدهر
في شهر العهود

وأشهر ما قيل في شهداء السادس من أيار ما دبه الشاعر العراقي جميل صدقى الزهراوى فى قصيده «النائحة» التي وصف فيها المشانق وشجاعة الأبطال فى مواجهة حبل المشنقة بكل شجاعة وثبات:

على كل عود صاحب وخليل
وفي كل بيت رنة وعويل
وفي كل عين عبرة مهراقه
وفي كل صدر آنة وغليل
قبور بيروت وأخرى بخلق
تجمر على ها للرياح ذيول

ويصف جرائمهم في الإقدام على الاستشهاد بشجاعة واندفاع قائلاً:

علاها وما غير الحميّة سلم
شباب تسامي للعلا وكهول
رجال عليهم من سنا الفضل رونق
والمجد فيهم غرة وجحول
مشوا في سبيل المجد يحدوهم الردى
وللحق بين الصالحين سبيل

فعلاً، ويشعر أن الرجل يقيم بيننا ويكتب عن أوضاعنا الحالية، رغم أنه كتب ما كتب في بداية القرن العشرين المنصرم فقال: «إن هجوم الغرب على الشرق ليس هو هجوم دين على دين، وإنما هو هجوم قوة على ضعف، وعلم على جهل، وغنى على فقر، فانظروا وتساءلوا: لماذا أنتم ضعفاء؟!.. هذا هو البلاء المبين. اذكروا أن لكم نفوساً كنفوس الأمم، ويجب أن تحيا كحياة الأمم...».

ومن مقالاته التحريرية التوبيه قوله في أحدى مقالاته في «الحضار»: «لم يزل شعور الإنسان بسابق مجده وماضي فخاره الموروث له عن أسلافه - إن كان له سلف صالح - من أكبر البواعث له على افتئناء المحامد وابتلاء المكارم واقتحام الأهوال في سبيل الوصول إلى غايات المجد احتفاظاً بما بقي له من آثار ذلك التراث، ودعماً لما عساه أن تسقطه عواصف الزمن من أركان حسنه ويهموه كرور الأيام من رونق نسبة، ويتصل ذلك بحرصه على التخلق بالأخلاق الفاضلة والتشبه في حاله ومقاله بعظام الرجال، وتعتمده الظهور بمظاهر الكمال والمرودة حتى تصبح تلك الحالة في نفسه سجايا راسخة وملكات ثابتة».

تواصلت هذا الزخم التحريري حتى أعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ فاستدعاءه أهله ومعارفه في مدinetه حمص ليكون مندوياً عنهم في المجلس النيابي العثماني الذي كان يسمى بمجلس «المبعوثان»، ذلك أنه كان ينتخب للمجلس مبعوثان اثنان عن كل لواء أو محافظة، وفي تلك الأونة كان قد شارك في تأسيس حزب «الحرية والاعتدال» وحزن «الائتلاف» المناوئين لحزب الاتحاديين التركي وعلى رأس منتسبيه جمال باشا السفاح، الذي وقع عليه الاختيار ليكون والياً على الشام وقاداً للقوات العثمانية في البلاد العربية وكان معروفاً بكرهه الشديد للعرب.

في مجلس «المبعوثان» ظن الزهراوى أنه وجد متنفساً أكبر ليوصل صوت شعبه ويدفع عنهم المظالم ويعيد بعض حقوقهم، وتعاطم الأمل أكثر حين انعقد المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٢ وانتخب الزهراوى رئيساً له، ولما أحسن العثمانيون بقوة شيكنته استمالوه من خلال حزب الاتحاديين وأقنعواه بعزمهم على الإصلاح وتخفيف قبضتهم على الشعب ثم اختاروه ليكون عضواً من أعضاء مجلس الأعيان التركي.

مشاولات على أعاد الماشائق

كل تلك الألاعيب لم تجد نفعاً مع المفكر والمناضل الزهراوى، فواصل الضغط بكل السبل لاستعادة الحقوق المفترضة ومطالبة الحكومة العثمانية برفع يدها عن شعبه وأرضه، ولما ازداد خطره وضاق المستعمرون به ذرعاً، أمر جمال باشا السفاح باعتقاله، حيث دخلوا منزله في الأستانة وصادروا أوراقه وكتبه وساقوه إلى المحاكمة الصورية في «عالية» بلبنان، وتزامن ذلك مع حملة اعتقالات شرسة نفذها السفاح جمال باشا حيث اعتقل العديد من أحرار وذمم العرب ومحكمتهم وحاكمهم محكمة عرفية وقضى بإعدامهم شيئاً فشيئاً: ٧ نفذ بهم الحكم في ساحة المرجة بدمشق و ١٤ في ساحة البرج ببيروت.

وبالفعل وبوجهة خيانة الدولة العثمانية العلية، نصب السفاح أعاد الماشائق في ساحة المرجة بدمشق في ليلة السادس من أيار مايو، كما نصب في نفس الليلة المشائق في ساحة البرج ببيروت، وفي الساعة السادسة صباحاً صدرت الأوامر بتتنفيذ الأحكام، فقصد الأبطال إلى حبل المشنقة غير همابين، موقنين بأن أرواحهم مبذولة بسخاء في سبيل عزة وكرامة الوطن.

وفي ذلك الصباح صدر عدد جريدة «الشرق» التي أستتها السلطات العثمانية في دمشق عام ١٩١٢ لتخدم سياساتها بعدد خاص وزع مجاناً على الناس وفيه بيان بالتهم الموجهة إلى المناضلين الأحرار ومحاكمتهم وتنفيذ حكم الإعدام بحقهم، وقد ذكرت الأسماء كلها ووصفت التهم بأنها أعمال خيانة للدولة العلية.

كان الشيخ الزهراوى أكبر المناضلين سناً الذي حكم عليهم بالإعدام، وقد سجل له التاريخ أنه حين سبق لحبل المشنقة مشى بكل كبراء وشموخ، وقبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام بلحظات قال قوله الشهير: «المشنقة أرجوحة الأبطال».

حاجز النار

بقلم: عواطف الزين

فجأة تشتعل الحرب ويغيب وجه «أولييفيا» مع تلك الوجوه اليائعة التي جعلت لحارتنا ملامح خاصة وغرست محبة لها في كل قلب وذكريات حلوة في كل بال.

•••

أكاد أسمع صوتها الحالم المskون بحنين دافئ لا ينطفئ لأمها وقريتها وأغاني فيروز، فكلما جمعتنا جلسة حميمية في أمسيات هادئة انساب صوتها مفرداً:

وصيتك تقطفي أول عنقود
أسود الكرم وموصوفلي
عنقيد السود
خدني وطير بشي غفلي
والدني بروم
خليني بقلبك طفلي
وخلينا زغار

كما لازال صغاراً على أغاني فيروز حين سكتت «أولييفيا» حيناً وقلوبنا معاً، وأضاعت زوايا منسية ومهجورة في ريو أممارنا الفضة وأشعلت فينا الحمية للحياة والفناء والعلم وتحولت غرفتها الصغيرة في منزل «العمة فاطمة» إلى صالون أدبي يضم بين جناحيه كل الراغبين في الانطلاق نحو العلا من الطالبات والصديقات والجيران واحتضنت برقة حانية كل تطلعاتنا وأمالنا في تلك المرحلة المبكرة والمتوجهة من أممارنا. كانت «أولييفيا» بمثابة أم إضافية لنا على مدى أعوام دراسية قليلة، ما كانت تكبرنا بسنوات كثيرة، لكنها تحمل في أعماقها حناناً لا يتبدد ومحبة لا تنتهي للحياة والناس.

•••

لازال السيارة تزغرد صعوداً بنا في منطقة محفوفة بالمخاطر، مسكونة بالمحاذير والعوائق لكن تصميمنا على الوصول كان أقوى من شعورنا بقوتها ما نحن فيه... وحين بدأ معلم القرية الموعودة تلوح في الأفق تارة وتحتفى خلف تلال هائمة تارة أخرى، غمرتنا فرحة عارمة بددت كل مخاوفنا التي تشكلت في دواخلنا عبر طريق متعرج يدور بنا وندور به في محاولة للإفلات.

ها هي البيوت القديمة المفروسة وسط سهول القمح

بدا المعبر مخيفاً وهو يخرج مبعثراً من قيود الأسر وجحيم الاغتصاب، هنا وهناك آثار بنا دق وذخائر وملابس وأحذية، وأشلاء متاريس وبقايا حراق لـ«أليكس» يتصاعد منها الدخان، وصمت مجنون، يطبق براحتيه على فم المكان.

•••

لا شيء يخدش وقع هذا السكون المرير إلا هدير خافت، فقلق المحرك السيارة الوحيدة التي تتوجل في أعماق الجبل نبحث معها وتبحث معنا عن ضياعه «الغدبر» المنسي على حدود الزمن وأصداء الغياب. المسافة تمتد شوقاً بلا نهاية لوجه «أولييفيا» الصارخ حضوراً في أذهاننا نحن الثلاثة: اسماعيل ونبيل وأنا، وصدى أسئلة حائرة تتقدّفها العيون قبل الشفاه، هل لازال «أولييفيا» هناك؟ أم أنها رحلت إلى عالم ما باختيارها أو دونه؟ هل كانت عصية على الزمن فتركها وشأنها غير نادم ولا مكابر؟ ترى من يعرف أينها؟ وكيف نصل لقاء حميراً مقطوعاً منذ ربع قرن؟

•••

كأننا نوشك على ارتكاب مغامرة غير محسوبة العواقب، هكذا بدأنا ونحن نعبر حاجز النار ونسير في طريق شاق وعر يزداد اغتراباً ووحشة، ونزيداد شوقاً إلى اكتشافه وفض بكارة غموضه وتحقيق الحلم، ذلك الحلم الذي رافق غربتنا ومعاناتنا، كل تلك السنين، ما تخلى عننا وما تخلينا عنه، لكننا نخشى الآن أن يقودنا إلى الواقع لا نرضاه ولا نقصده، ونجد أنفسنا فريسة سهلة لمصيدة العدو التي لازال ترخيص بنا في ذلك اليوم الصعب من أيام «أيار» مايو.

كانت الشمس مشرقة بزهو ترمي أشعتها الذهبية بحرية فوق تلال متراحمية الأطراف، فتبعد الطبيعة متربعة بالسحر والبهجة وأعيد رسم ملامح «أولييفيا» على صفحات ذاكرتي المنهكة، وأعود إلى سنوات حائرة بين الصبا والطفولة، لأنتقى وجهها من بين وجوه كثيرة لعلمات جئن إلينا من أقصى الجبل يحملن طموحاً وأحلاماً وأمنيات. ويفزلن بنضارتهن أثواب الفرح للغد الأجمل الذي ينتظرون ولكن سرعان ما تهرب السعادة من رزنامة الأيام.



الغياب لم يحدث أبداً. فوجه «أوليبيا» لا يزال مشرقاً كعادته وملامحه الهاوئة ظلت على حالها والسنوات العابرة لم تترك ما يشير إلى مرورها العابث.

كانت اللحظة محملة بكل أشواق الحياة، تلك التي جمعتنا بـ «أوليبيا» حين تأملت كل واحد منا كأنها تعيد اكتشافنا قبل أن تتطرق بأسمائنا.

- اسماعيل، نبيل وأمل!
وأكملت بصوت متهدج، فرح:

- هل يمكن لذاك الحلم أن يتحقق فجأة هكذا؟
- قالت كلماتها تلك وهي تحاول إخفاء دموع غزيرة تفجرت من عينيها الحانيتين!

ومشائل التبغ، تتسابق الواحد تلو الآخر لصافحتنا والاحتفاء بنا بعد غياب قسري طال، بينما تلتقط أسماعنا دقات أحراس وأهازيج كأنها تعلن بداية العيد.

● ● ●
كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد الظهر وثمة إحساس بالتعب يداهمنا، لكنه ما ليث أن تلاشى حين وطأت أقدامنا ساحة الغدير الوارفة للظل، كان المشهد ساحراً إذ بدت القرية وكأنها مفسولة ببراءة الطفولة ودموع الفرح والناس في بهجة تفوح من عيونهم ووجوههم رائحة النصر، بحشاً في الوجوه التي قابلتنا عن وجه «أوليبيا» الحاضر الغائب، مسحنا بأعيننا كل ملامح النساء والرجال والأطفال، كما نعد أنفسنا بوجهها يطل علينا من ثنياً الفرج وبماهig الزينة، لكنه ظل متوارياً عن أنظارنا إلى أن قادنا أحد رجال القرية إلى غايتها.

كأن الأماكن ترحل أيضاً حين تسقط أوراقها الخريفية من ربيع الذاكرة الخصب، كم سلّكنا هذه الطريق من قبل لكنها الآن أكثر قسوة وحدة، فكم تحدث الأيام الصعبة في زمن تعمد بالأسر خلف أسلاك شائكة مكهربة قطعت الطريق وقلوبنا إلى نصفين.

اللهفة إلى اللقاء تزداد تأججاً، وفي الأعماق إحساس ينبض بالسكنية والتساؤل: ترى هل غيرت الحرب وجه «أوليبيا»؟ وأقامت بيننا وبينها حاجزاً من نار؟ هل نشكل لسنوات عدة كل عالها مثلما شكلت لسنوات عدة كل عالمنا؟ هل سمعت بالوصول إلينا مثلما نسعى للوصول إليها؟

كنا طوال الطريق نبحث عن صورة متجددة لوجه «أوليبيا»، لكن حضوره الطاغي هي أعماقنا كان أكبر من أي تخيل.

● ● ●
على مشارف قرية «الخروب» أحسست بصوت «أوليبيا» يقترب، يزداد وضوحاً وحضوراً في لحظة اندماج أثيرية بين الزمان والمكان، أكدت أسمعها تردد أغنيتها المفضلة «وصيتك تقطفلي أول عنقود». لا شيء يخدش وقع حفقات قلوبنا سوى إيقاع صامت لعلامات الدهشة المرسمة على وجوهنا استعداداً للحظة الآتية.

● ● ●
ها نحن الآن في رحاب «أوليبيا» تكاد أنفاسها تتبعنا بأنها هنا تتظر عودتنا وتتلهم لسماع أخبارنا، صورها المعلقة على الجدار في منزلها الأنثيق - الذي ضمنا بحنان بعد طول غياب - تؤكد أننا لم نخطئ المكان ولأول مرة يقودنا الحلم إلى واقع حلو.

مررت دقائق كأنها ساعات قبل أن تطل «أوليبيا» وتفاجأ بحضورنا، ها هو الحلم يسير على قدمين ويضمنا بعينيه قبل أن يضمنا بصدره، كأن ذلك



من رعيل المناضلين الأوائل لأجل حرية القارة السوداء ..

ساموري توري.. البطل الراسخ في ذاكرة الأفارقة

من هو ذلك الرجل الذي ارتسם حوله كثير من الشكوك، وترامت حوله الخلافات في وجهات النظر؟ إنه زعيم سياسي إفريقي مالنكي أسس مملكته في النiger الأعلى ما بين عامي ١٨٦١ و ١٨٨١ وذلك قبل أن ينخرط في مقاومة الفرنسيين بعناد لدى اجتياحهم لغرب إفريقيا ١٨٨١ - ١٨٩٨.

هناك هي الـ (كافو) أي الكانتونات أو الأقضية والتي تضم بعض قرى لا يزيد سكانها عن ألف وخمسمائة يديرها زعيم يحمل لقب الـ (مانسا) على نمط أباطرة مالي القديمي. وكان يحدث أن تتوحد بعض الأقضية بصفة مؤقتة - لأسباب دفاعية أساساً - وتتادي بزعيم ذي مزايا خاصة أهمها العسكرية. وكان يلقب بـ (فاما).

كان ساموري، مشكل الامبراطورية، رجلاً ثرياً حقيقياً، أدخل إلى بلاده شتى أشكال التطور السياسي غير المعروفة حتى الآن. ولكن يجب أن تستسلم لسحر الإسطورة، لأن غزو السلطة وبناء هذه الامبراطورية لم يكن بالمشروع السهل نظراً لتشابك المنافسات المحلية والدولية، ونظرًا لحساسية الشعوب إزاء أي سلطة تقيلة لا تحتمل.

ولد ساموري العام ١٨٣٠ وبدأ حياته العملية كتاجر متواضع، تلك المهمة ذات الآفاق الواعدة لأن التجارة كانت آنذاك في أوج تطورها حيث افتتحت هناك قنوات تبادل جديدة على سيراليون وعلى المحيط الأطلسي (بيع عبيد وشراء أسلحة نارية) مما ساهم في تفعيل التجارة المحلية القديمة وإلى مسافات بعيدة (مقاييس الذهب والعيان وجوز الكولا بأسلحة وأقمصة من دول متوسطية وساحلية وصحراوية). هذه التجارة لم تتح لمن امتلكوا الجرأة والإقدام سبل الثروة والغني فحسب، بل قدمت لهم وسائل الحرب والقوة، وبفضل إعادة توزيع غنائم الحرب والتجارة تمكنا من أن جمعوا حولهم من التابعين ومن توافرت فيهم الموهبة والطموح.

استطاع ساموري أن يجمع حوله المسلمين والمالنكين ليؤسس مملكة عسكرية قوية، عاصمتها بيساندوجو، انتشر فيها الإسلام بالوسائل السلمية واتخذ لنفسه لقباً دينياً وهو (المامي) أي الإمام، وبنى دولته على إدارة مركزية مقسمة إلى ١٦٢ مقاطعة تجتمع ضمن عشر حكومات يترأس كل واحدة

تصوره الدعاية الفرنسية بالرجل المسلط الظالم والإرهابي، حيث لم ير فيه مؤرخو حقبة الاستعمار أكثر من ملك عبودي دموي صغير. لكن الأفارقة الأقدمين والمعاصرين لم يكفووا منذ انطلاق كفاحهم من أجل الاستقلال عن النظر إليه على أنه أحد أبناء تلك القارة السوداء الأكثر تبلاً وجذارة، ويعتبرونه من أوائل العاملين في سبيل تحرير إفريقيا من الاستعمار الأجنبي، فهو جسد رفض الهيمنة الأجنبية على بلادهم أفضل تجسيد.

ولد ساموري توري العام ١٨٣٠ في مقاطعة كونيان في غينيا الحالية، في وسط كانت الوثنية هي السائدة، ولم يكن هناك إلا بعض المسلمين القلائل وكانوا من التجار (الديولا)، وقد اشتد نفوذ هؤلاء خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نتيجة اتصال العرب بإفريقيا. وابتداء من العام ١٨٣٥ قام مهاجرون عديدون ينتقرون للإسلام بمهاجمة المجتمع المالنكي الذي كان عاجزاً عن الدفاع عن نفسه بفعالية.

ينتمي ساموري إلى قبائل المالنكي في الجنوب الناتجة عن اختلاط السكان المحليين بالمالنكين المهاجرين القادمين من الشمال. والذين هم في الأصل مسلمون وغالبيتهم تجار كما ذكرنا، ولكن باختلاطهم بسكان البلاد المضيفة توصل كثير منهم إلى التكيف مع أنماط حياة مختلفة وعادات مختلفة. وهكذا فإن أجداد ساموري رحلوا العام ١٧٠٠ من كنكان وهجروا التجارة ليعملا في الزراعة والرعي. لكن مقاطعة كونيان لم تكن تابعة للأمبراطوريات الكبرى في غرب إفريقيا ولا سيما امبراطورية مالي التي اختلفت تماماً في القرن السابع عشر، والتي كان مالينكيو الجنوب يحتفظون منها بذكريات عزيزة بعيدة.

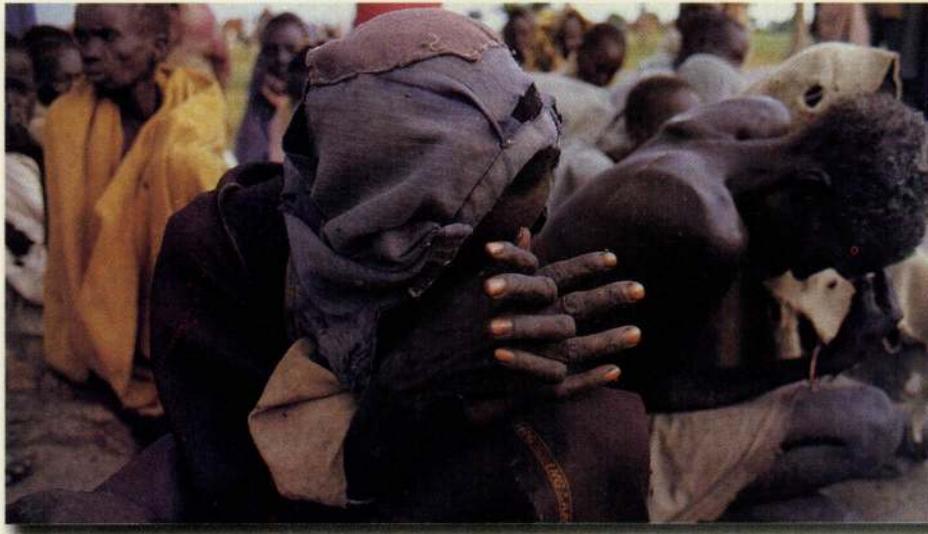
في مطلع القرن التاسع عشر، كانت البنى السياسية لمقاطعة كونيان على نمط قرية وليس دولة. وكانت الوحيدة الأساسية

إعداد: عماد عقيل

**وصفه مؤرخو
حقبة الاستعمار
 بالإرهابي
المسلط
 والأفارقة
 يعتبرونه من
 رموز حرية
 قارتهم.**

**كان ساموري
 ثورياً حقيقياً
 عمل على تطوير
 نظام سياسي
 أريك المستعمرين
 بمقاومة.**

**حاول التخلص
 من التبعية
 التكنولوجية
 للأوروبيين ..
 وبدأ منذ ١٨٨١
 بمقاومة جيوش
 الاستعمار
 الفرنسي.**



بحنكة عالية أدار الحرب والتفاوض .. لكن تكافف جيوش الغزاة الأوروبيين ضده أجهض حلم .٤

حلم ساموري الأفريقي: التوحيد عن طريق الإسلام .. والنهوض بالبلاد عن طريق التحديث والعمان.

له الخيار وكاد ساموري أن يسحق القوة العسكرية الفرنسية، لكنه راح يفاوضهم في العام ١٨٨٦، ثم عام ١٨٨٧ ليتركوا له الحرية في مواجهة السينوفو الموجودين في سيكاسو، والذين كانوا يسدون أمامه الطريق نحو الشرق. وجاء حصار سيكاسو (مايو ١٨٨٤ - ١٨٨٨ - أغسطس ١٨٨٨) ليضع ساموري أمام الفشل من جراء إثارة الفرنسيين لتمرد ضده وضد (تعسفه الديني). واعتقد الفرنسيون أن مملكة ساموري ستنهار وسيرثونها، ولكن ساموري انتصر على التمرد بين ١٨٨٩ - ١٨٩٠ وأعاد سلطته على جميع أنحاء المملكة. في الوقت نفسه، عدل من سياسته المبنية على التزمت الديني، ووجهها نحو مواجهة الفرنسيين المحاذين، كما حاول تأجيل الصدام حتى يتمكن من تحديد الجيش والأسلحة. لكن الفرق الفرنسية هاجمته عام ١٨٩١ ودامت المعركة حتى العام ١٨٩٨ بفضل اتباع سياسة الأرض المحروقة التي طبّقها ساموري. وبالفعل، أفرغ ساموري في بداية العام ١٨٩٤ مملكته القديمة، وزحف نحو شمال ساحل العاج ونحو قسم من غانا، حيث رد هجوم الفرنسيين الذين كان يقودهم مونتيل وذلك في أبريل ١٨٩٥.

واستقر في المملكة الجديدة دون أن يباشر من أرض غريبة مشاريع إصلاحية. لكن الدول الأوروبية كانت في تلك الأثناء آخذة في تقسيم إفريقيا واحتلالها في خضم مرحلة استعمارية، وبالتالي كانت مملكته الجديدة ضعيفة جداً ولا تقوى على مواجهة القوات الفرنسية.

حاول ساموري أن يجعل الفرنسيين والإنكليز يصطدمون بعضهم ببعض لكن الفرنسيين سرعان ما اعتقلوه في سبتمبر ١٨٩٨ في جيليما (ساحل العاج) ونفوه إلى الغابون حيث أصيب بالتهاب رئوي توقي على أثره في فبراير العام ١٩٠٠. كان ساموري صانع رجال يتعلّى بالجرأة والحمية والمنطق، وكان صاحب رؤيا، وفوق هذا كلّه، كان يملك روح المثابرة التي لم تعرف الكل ولا التعب والقول هنا للجنرال الفرنسي براتيه الذي حاربه ساموري. جسد ساموري في أواخر القرن التاسع عشر الاتجاهات التي كانت تتبلور منذ قرون في البلاد الماليكية المعادية للتقاليد القديمة وللجماعات المشردمة والتي تتخلّص بأفكار عديدة منها: التوحيد عن طريق الإسلام، وإعادة النهوض بالبلاد عن طريق التحديث والعمان.

ما زال التساؤل قائماً عمّا كان ينقص ساموري ليقوم بعمل طويل المدى! وبالتالي، لم تقتصر الموهبة ولا الشجاعة ولا المهارة ولا حتى في وقت ما «الحظ» الذي يؤمّن به كثيرون من رجال الدولة. لقد كان - دون شك ضحية ظروف سياسية لم تترك مكاناً للأفارقة، ولكن كما يقال، فإن الأبطال لا يموتون أبداً. ألم نر أنه مع تغير الظروف فإن ساموري اليوم يعتبر أحد الأبطال الأعزاء والراسخين في ذاكرة الأفارقة.

منها قريب من أقرباء الملك أو رجل موثوق به يساعدته رجل عسكري ورجل ديني.

شكل ساموري جيشاً مدرياً يضم جنداً محترفين فضلاً عن الميليشيات الشعبية التي كانت تجيء من القرى في حالة الحرب، وأوجد محترفات للصناعات العسكرية الخفيفة يعمل فيها عمال إفريقيون كإصلاح البنا دق وصناعة بنادق سريعة الطلقات إضافة إلى ماكان يزوده به تجار السنغال وتجار سيراليون الإنكليز من أسلحة وعتاد.

إبان إحدى الحروب تم أسر والدة ساموري ماسورونا كاما را العام ١٨٥٠ من قبل سيريري مدركاً أحد أبناء موريول سيزي الذي كان يسعى لأن يؤسس لنفسه أمبراطورية قوية، وقد يكون هذا التمس وفر الفرصة لساموري الذي كان مضطراً أن يؤجر سيزي خدماته الخاصة في سبيل تحرير أخيه من العبودية، ثم التحق بجيشه سيزي مدركاً أن التجارة ليست قدره بل الحرب والقتال. ولدى سيزي سيفي - وفقاً للتقاليد - سبع سنوات وسبعة أشهر وسبعة أيام ثم يغادره بصحبة أخيه ذات يوم من ١٨٥١.

وقد اشتهر ساموري منذ ذلك الحين كعسكري والتحق بجيشه بيريتي المعارض لجيشه سيزي، لكنه لم يستمر فيه أكثر من عامين حيث التفت في العام ١٨٦٠ إلى قبائل منطقته المعروفة بقبائل الكامارا والتي تعتبر الأضعف أمام قوات سيزي وقواته بيريري واقتصر أن يدافع عنهم ضد أي اعتداء، وأدى قسمًا بشكل احتفالي في ديالا العام ١٨٦١، ومنذ ذلك الحين عرف بـ (كيليتيفي) أي قائد الحرب.

الجيش الذي شكله ساموري لذلك الغرض كان له هيكلية ومواصفات لم تغير بشكل أساسى حتى نهاية حياته السياسية والحق أن ذلك الجيش كان من الحرفية الحقيقية مما لم تشهده تلك المنطقة حيث انضم إليه رجال يتمتعون بروح وطنية صادقة، رجال مغامرون جاؤوا من كل حدب وصوب، لكن قيادة الجنود كان يعهد بها ساموري إلى أشخاص اختارهم بدقة، مثل إخوانه وأصدقاء الطفولة، وأبنائه، أو أي شخص يثق به. والرابط الوحيد الذي كان يجمع بين هؤلاء الرجال هو إخلاصهم الواسع لشخص القائد ساموري نفسه. غالباً ساموري المحارب الراهب ولكنه كان يطبع سياسة التناوب بين الحرب والدبلوماسية مهدداً أو مهادناً أو مخداعاً خصوصاً، وهذه الاستراتيجية المعقّدة جداً سوف يتبعها ساموري خلال عشرين عاماً وصولاً إلى العام ١٨٨٠ حيث انتقل إلى أعلى النيجر لتشمل «امبراطوريته» بلاد البواري الغنية بالذهب وسوهاها، وعقد صلات مع دولة توکولور التي يحكمها ابن الحاج عمر طال، وكانت الدولة السامورية تعتمد على أساسين اثنين، يصنعن قوتها، الجيش وأمن البلاد من جهة، والتجارة من جهة أخرى. وهذا ما كان في حسبان الدول الأوروبية التي لم تكتف بالسيطرة على الشركات والوكالات التجارية التي كانت تعمل في تلك الشواطئ، بل أخذت تخطّط للولوج إلى داخل القارة، وعلى رأس تلك الدول فرنسا وبريطانيا اللتان دخلتا في سباق محموم للسيطرة على تلك السواحل اعتباراً من العام ١٨٧٠.

لذلك وبالرغم من أنه لم يغادر بلاده مطلقاً، فإن المامي ساموري كان يأخذ في الحسبان المعلومات الدولية الجديدة، ويحاول - وبالتالي حماية نفسه جيداً - وخير دليل على هذا بذلك جهوداً مضنية بعد العام ١٨٨٥ للتخلص من التبعية التكنولوجية للأوروبيين. ابتداءً من العام ١٨٨١ بدأ ساموري في مواجهته للفرنسيين الذين كانوا قد بدأوا اجتياح السودان الفرنسي (مالي) في طريقهم نحو النيل الأعلى. جرت مواجهة عسكرية ضارية بين جيوش ساموري والجيش الفرنسي عام ١٨٨٢ في كينياران، وأخرى العام ١٨٨٣ على أبواب باماكور. وبالرغم من صمود رجاله أمام قوة الفرنسيين فقد قدر ساموري موازين القوى، ورأى أنه في النهاية لن يكون الأمر لصالحه، فقرر تحاشي القتال على قدر الإمكان. ووفقاً لسياسته التي اتبّعها بنجاح مع القادة الأفارقة أراد ساموري أن يقود الحرب والدبلوماسية بشكل متوازن، لكن الهجوم الذي قام به الفرنسيون على جيش ساورى في العام ١٨٨٥ لم يترك

من أين يأتي الرضا؟

شعر: علي السبتي

أريك الرضا...
 لو تطاوعني نبضات الفؤاد
 ولو استطيع أدهانُ والجوع
 يحصد مرضعة في زمان الحصاد
 وتنعم بالطلع تلك التي تجوس خلال البلاد
 وتنتشر في كل حيّ بذور الفساد

• • •

أريك الرضا ..
 لو يغادرني هاجس في الرقاد
 يشك المسامير حيث انقلبت،
 وأسمع صوت الغراب بيت الحكايات
 عن قاطعين السبيل وعن زارعين
 بغير حقولهم، وعن راقصين بليل السفّاد

• • •

تجدد عهد لغاد
 فمن أين يأتي الرضا
 والتماثيل تُعبدُ في كل واد
 وسوق النخاسة عبر الفضاء تقيم المزاد
 وفي البرّ والبحر عمّ الفساد
 وصاروا عبيداً لنمرود في زمن الانحدار
 العباد
 فماذا يقولون يوم التنادٍ

• • •

أريك الرضا
 حين يشرق فجر الأيامى
 وتتبّت زيتونة من خلال الرماد ...!



مشاعل على الطريق



بقلم: نايف الركبي

وكيل الديوانالأميري المساعد للشئون المحلية

السباق اليومي المتواصل، هو نكران الذات والعطاء بلا حدود. وتتعدد أوجه هذا السباق بتعدد الأشخاص وتنوع قدراتهم، فمحبة الأوطان ليست مقصورة على أحد دون الآخر، فالكل يبدأ يومه بالعطاء لهذا الوطن. فالطالب الذي يذهب إلى مدرسته وينهل من مناهل العلم المتعددة، لا يستزيد علماً من أجل ذاته فقط بل ليكون أحد جنود هذا الوطن وأحد أبنائه الفاعلين، وكذلك الموظف الذي يذهب إلى عمله فإنه يؤدي واجباته وظيفته كأحد أبناء هذا الوطن المخلصين.

وكالعادة فإن لكل قاعدة شواد، ولكل أصل استثناء. فإذا كان الأصل أن الجميع يتتسابق في حب الوطن، والعطاء والإخلاص من أجل عزته وتقديمه، فإن هناك العديد من المظاهر التي تشوب هذا العطاء. وهذا السباق، وهناك فئة قليلة تشوّه هذا العطاء، وبدلًا من أن تعمل من أجل الوطن فهي تعمل لأجل نفسها، ولا تغير هذا الوطن أي اهتمام، فمن لا يحافظ على أموال الدولة وممتلكاتها ويهدى خيراتها، فهو كمن خان الأمانة، و شأنه كشأن من يسعى إلى فائدة شخصية على حساب مصلحة الدولة وتجاوزها من أجل قائدته له أو لشخص آخر يهمه، فهو بذلك قد ارتكب جرماً بحق وطنه. وساهم بالإساءة إليه.

يجب علينا جميعاً أن نفكّر بوطننا وأرضنا ومصالحتنا قبل أن نفكّر في مصالحنا الذاتية لأننا نذكر ما حل بنا وبهذا الوطن عندما احتله صدام ونظامه، وشرد من شرد واضطهد من اضطهد في تلك الفترة الحالكة السوداء من تاريخنا تجلت الوطنية والعطاء للوطن في أبهى صورها... لم يقل أحد ما

الفائدة العائنة علىٰ وعلى عائلتي أو قبيلتي أو طائفتي بل قال: ما الفائدة التي ستعود على الكويت؟ لقد ضحي الكثير من المواطنين بأرواحهم وببعض الآخر تحمل غياب السجون وظلمتها من أجل الوطن، لا نعتبر نحن الأحياء بهذه المشاعل التي أضاءت تاريخ هذا الوطن، وعمدته بالدم وبالروح وجسدت شعار «بالروح وبالدم نذديك يا الكويت» فعلاً لا قولاً، ليس هناك أغلى من الروح عندما نقدمها طواعية فداء للوطن، إنها أعلى درجات العطاء والتضيّق من أجل الأوطان. إن هؤلاء هم العبرة والقدوة التي يجب أن نقتدي بها في سباقنا اليومي، هؤلاء الشهداء يجب أن يحظوا بأعلى درجات رد الجميل لهم ولأهلهم ولا نبخّل عليهم بشيء، فهم الذين أضاءوا لنا دروب تحرير هذا البلد وحفروا أسماءهم بأحرف من نور، سوف تظل خالدة في ذاكرة هذا الوطن ومحفوّرة في تاريخه.

إن حب الأوطان لا يأتي إلا من خلالبذل المزيد من الجهد والعطاء من أجل رد الجميل لهذا الوطن الذي نشأنا على أرضه، وتربينا في كتفه، وتعلمنا في مدارسه، وترعرعنا في ربوعه، فاجعلوا الشهداء عبرة لكم، فهم النموذج الأمثل في حب الوطن وذروة العطاء من أجله وسنام مجده.

